

# سکھوای بر

روایتی متن



مکتبہ مہدی



أرانب  
رواية

الكتاب: أرناب

(رواية قصيرة وقصص)

تأليف: سلوى بكر

الطبعة: الثالثة عام ٢٠٠٤

الناشر: مكتبة مديولى

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٥٨٨٦

الترقيم الدولى: ISBN 977-208-449-x

دار الصفوة للطباعة

٣٢١٤٥١٥ - ٠١٠/٥٦٥٩٤٨٤

سلوى بكر

أرانب

رواية وقصص قصيرة

مكتبة مدبولي



## رواية قصيرة





## أرانب

١

فتح أسامة عينيه الخضراوين الضيقتين لتصطدما بالمشهد المزمّن لصباحه اليومي: الدولاب الخشبي القديم ذى الباب المكسور الموارب، والكاشف عن ملابس زوجته القليلة بما فيها ثوب زفافها الأبيض المتشح بغبار سنين مضت، ثم المشجب النحاسى المثبت على الحائط بجوار الدولاب وقد استقرت على علاقاته البارزة المشكّلة على هيئة أسودٍ غاضبة بعض المناشف والألبسة، إضافة إلى سروال كالج سنجابى اللون، سيضطر إلى ارتدائه عند توجهه إلى عمله بعد حين؛ لأنه نسي كى بقية سراويله التى غسلتها امرأته فى اليوم الفائت، وبينما هو يتشاءب ويتمطى بتكاسلٍ من لم ينفذ عنه غبار النوم بعد، جاءه صوت زوجته وهى تتأديه بسعادةٍ من أخذته المفاجأة المفرحة وتقول:

أسامة، تعال، بص، كلهم ولدوا.

نهض بحركة لا شعورية وجلس فى السرير للحظات متأملاً صورته المنعكسة على مرآة باب الدولاب المواجه له، ليكتشف أن لا جديد تحت الشمس؛ فصورته المعتادة هى: وجه شاحب ممصوص بفكٍ علوى بارز قليلاً وأنف وفير متكور تكوراً يجعله لا

ينسى أبدأ قول الشاعر: «هذا جناه أبى على»، ثم شعر مخملى  
غزير، طالما اعتقد أن الطبيعة جائرة إذ تجمعها بكل ما فيه من جمال  
مع هذا الأنف الشرير في وجه واحد. نطّ من مطرحه بهمة  
وحماس، ويخطوتين لا غير صار واقفاً إلى جوار حياة في الشرفة  
الصغيرة للغرفة ينظر إلى صفار الأرناب، ذات الأعين المغمضة،  
واللحم الأحمر الطرى، وراح يتهد برضا بعد أن أحاط بذراعه كتف  
زوجته العارى البارز من قميص نومها القطنى الخفيف، المحلى  
بزهرات برسيم رقيقة كركمية اللون وقال:

. بسم الله ما شاء الله. اسم النبی أحسن.

ردّت زوجته حياة بامتنان قائلة:

. عيني عليهم باردة، تسعة فوق، وستة تحت في القفص، والله  
ربنا أكرمنا بهم يا أسامة، ووسّع علينا؛ لأنه عالم بحالنا وظروفنا.  
لم يردّ وظل ساهماً يفكر وهو يحدّق في الأرناب الوليدة، التي  
راحت أمهاتها تبادلن التحديق بعيون حمراء متوجّسة، ربما خوفاً على  
نتائجها منه. تفحص القفص الخشبي الكبير ذا الواجهة السلّكية  
المكون من دورين، ثم رفع رأسه محاولاً تقدير ارتفاع سقف الشرفة،  
ليعلن بعدها لزوجته:

. صاروا محتاجين إلى مكان أوسع من القفص، مشكلة والله.

نظر إليها نظرة لا تخلو من معنى، فقد كان يرغب في مفاتحتها  
بضرورة صنع قفص كبير في شرفة البنّتين، بدلاً من هذا الذى ضاق  
بهم؛ لأنها الشرفة الأوسع في البيت، لكنه آثر السكوت؛ فقد خشى  
الردّ الراض الذى تلقاه قبلاً، كما آثر تجنب المشاكل والمشاحنات مع  
البنّتين، خصوصاً الصغرى الناقمة على الحياة عموماً وعليه

خصوصاً؛ لتربيته الأرناب داخل الشقة، والتي طالما نعتته بالتخلف وقلة العقل. لكنه على رغم رأيها هذا وعلى رغم سلاطة لسانها وأسلوبها العنيف الحاذق في الحوار معه ومع أمها، فقد كان يلتمس لها العذر؛ لأنها عصبية، صبيّة، تعاني من حساسيّة مزمنة في الصدر؛ تجعلها تلازم الفراش لفترات طويلة بين وقت وآخر. وعلى رغم طبيعتها المحبّة للحياة، إضافة إلى أنها تحلم، مثل كل الذين هم في مقتبل عمرهم، بالحياة المريحة المرفّهة التي لا يقدر على توفيرها لها؛ مما يشعره دائماً بالمرارة والحزن وقلة الحيلة في مواجهة الحياة. فكّم من مرّة عبّرت له، وبطرق مختلفة عن رغبتها في مجازاة أنداها في الجامعة؛ بحيث تلبس مثلما يلبسون من ملابس أنيقة وتتفق بيسر. لكنها لا تحصل منه إلا على مصروف متواضع لا يتيح لها التصرف إلا في أضيق الحدود، وبما يسمح لها بالحفاظ على مظهر عادي، بل أقلّ من عادي في أحيان كثيرة تدفعها إلى الامتناع عن الذهاب إلى الجامعة، مثلما حدث يوم نسيت إحضار حذاءها من عند مصليح الأحذية، وقد تذكّرت ذلك وقت العشاء، فذهبت بحذاء أختها لإحضاره، لكن الدكان كان قد أغلق، وتصادف أن اليوم التالي كان يوم الاثنين، عطلة الجزمجى، فاضطرت إلى البقاء خلال ذلك اليوم في البيت؛ لأنه لا يوجد لديها حذاء آخر. وهو يلتمس العذر لها أيضاً؛ لأنها لا تدرك حقاً مدى صعوبة الحياة في هذه الأيام السوداء التي لا يعلم متى تنتهى وتغور إلا الله؛ ولأنها لا تدرك أيضاً كم يكلفه مصروفها المتواضع هذا من جهد وعرق، ولا تعرف أن هذه الأرناب «النيلة» - كما تصفها دائماً - هي السرّ البائع الذي هداه الله إليه، ليواجه به متطلبات الزمن الصعب، والغلاء المتعاضم؛ وليجعل أسرته

تعيش فى مستوى يحول بينها وبين مدّ اليد بالسؤال.

تهد برضا مفضلاً ألا يبدأ يومه بالتفكير فى منقصات ونكد لا لزوم لها، خصوصاً بعد أن استقبله بصباح ندى ولدت فيه الأرانب.

ضغط براحته كتف زوجته شحيح اللحم، ثم طلب منها فى امتنان وضع بعض من النقود فى صندوق نذور الجامع القريب؛ حمداً لله وتيمناً بالخلف المبارك لأرانبه العزيزة. لكنها اعترضت على فكرته؛ لأنها قرأت أكثر من مرة فى صفحة الحوادث بالجريدة عن سرقة واختلاس فلوس صناديق نذور الجامع، ثم إنها ارتأت الاكتفاء بقراءة الفاتحة للأولياء، ومنح أم حسن أرملة بواب العمارة المتوفى مؤخراً ذكر أرنب كبيراً لتبرّبه عيالها الغلابة؛ فهى أولى بالهبة ويفعل الخير من صندوق النذور الذى لا تضمن صرف فلوسه فى المفيد للناس. ولما أنهت كلامها قائلة له: "ثم إن أم حسن تحت رجلينا وطالعة نازلة تقضى الطلبات وجارية على لقمته ولقمة عيالها، والوليّة مقدّرة المعروف المعمول معها". تتهدّ وطلب منها إعداد طعام الإفطار، وأخبرها بنيتّه فى الحصول على إجازة مَرَضِيّة من الشغل لمدة أسبوع يتفرغ خلاله للاهتمام بالأرانب وتوضيب قفصها، واحتفظ لنفسه برغبته فى الحصول على إجازة سنوية بدون مرتب؛ ليجند نفسه بالكامل لتربية الأرانب ورعايتها.

وهو فى طريقه إلى عمله داخل سيارة النقل العام، بدت له الحياة ذات مذاق مختلف فى ذلك اليوم. فالجو لطيف مقبول، على رغم حرارة شهر أغسطس المرتفعة، ورطوبته الموهودة التى تصيب الأبدان باللزوجة وبالتعرق السخيف الذى لا تطاق رائحته المختلطة بروائح بصل الإفطار الفائحة من زفير الركاب. حتى النيل بدا فى

عينيه أكثر بهاءً وعظمة عندما مرّت السيارة بجانبه فى ذلك الوقت، ولا يشبه النيل الحزين المنكسر الذى اعتاد أن يراه كل يوم قبل ذلك. كاد أن يصفر بلحن أغنية الدنيا ربيع والجو بديع، لكنه أثر الوقار احتراماً لشعيرات بيضاء لا يمكن تجاهلها تناثرت بوضوح فى شعر رأسه. كان أسامة يشعر خلال تلك اللحظات بما بات يؤكد لنفسه بين الحين والحين فى الشهور الأخيرة، من أن الحياة بدأت تقبل عليه، وتفتح ذراعها له، بل تعطيه ضوء الأمان الأخضر؛ لأن جيبه صار لا يفرغ من الفلوس أبداً، كما أن المتطلبات الأساسية لحيته وحياله تجرى تلبيتها فى سهولة ويسر دون الصعوبات المعتادة التى كان يواجهها قبل قيامه بمشروع الأرناب. غمره شعور عارم بالرضا والسكينة، وبأن الله أكرمه فعوّض شقاءه خيراً بعد أن كدّ وتعب وتقلب فى أعمال عديدة مارسها فى النصف الثانى من أيامه بعد الانتهاء من عمله الصباحى بوزارة الصحة، وقَبِلَ القيام ببعضها على مضض، وبشعور لا يخلو من المرارة والضيق، فقد اضطرت ذات مرة إلى العمل كبلاسير فى سينما درجة ثالثة بإحدى المناطق الشعبية تعرض ثلاثة أفلام دفعة واحدة فى كل حفلة من حفلاتها، وكان يتقاضى شهرياً خمسين جنيهاً لا غير؛ مقابل إرشاد رواد هذه السينما إلى مقاعدهم المخصصة بصالة العرض. كان عليه خلال ذلك التعامل مع السمكرية والميكانيكية، وصبية المحلات، إضافة إلى البلطجية والشُّنّلية وجميع الأصناف الواقعة من قعر قفّة المجتمع، والتى رأى كل لون وصنف من أنواعها، خصوصاً فى حفلات منتصف الليل التى كان يختتم بها عمله الممتد من حفلة الثالثة ظهراً؛ وعلى رغم كل تلك الساعات الطويلة التى كانت تمر عليه

وكأنها دهر من الزمان، والتي يعود بعدها إلى بيته شاعراً بجسده  
وكأنه جوال ثقيل من الملح، وأنه لا ييغى من الحياة وحياة سوى  
الإلقاء بنفسه على الفراش والنوم حتى صباح اليوم التالى، على  
الرغم من كل ذلك الإجهاد والتعب كان يبيت ليلته راضياً مطمئناً،  
بل يعتبر نفسه من المحظوظين؛ لأنه وُقِّقَ فى الحصول على عمل  
إضافى يُدِرُّ عليه مبلغاً يساعد فى زيادة دخله المحدود؛ لأن  
الخمسين جنيهًا بالإضافة إلى بضعة جنيهات أخرى تتجمع لديه بين  
الحين والحين كإكرامية من بعض رواد السينما كانت بمثابة النواة  
التي تسند الزير بالنسبة إليه؛ إذ ساهمت فى تقليل عدد وجبات  
البصارة والعدس بنوعيه: الأصفر وأبو جبّة، التي كانت معدلاتها  
تتزايد اطرادياً مع اقتراب الشهر من نهايته. كما أنها لعبت دوراً  
حاسماً فى تسديد القسط الشهرى لسخّان المياه الذى كان لا بد من  
شراؤه رضوخاً لرغبة البنّتين. لقد تحمل أسامة عمله هذا على  
مضض، وتعرف من خلاله على عالم لم يتصور يوماً وجوده فى هذه  
الدنيا. كان يشعر بداخله بنوع من المهانة والألم؛ إذ اضطرتّه  
الظروف إلى مخالطة حثالة بشرية فاقت كل ما شاهده من أمثاله  
على شاشة السينما المصرية؛ إذ كان مع بداية عرض كل فيلم، يرى  
فيلماً آخر على الطبيعة، موضوعه اللواط والمخدرات، والتعليقات  
البذيئة الصارخة، ولقد اكتشف ذات ليلة أن دورة المياه القذرة، التي  
كانت رائحتها المنتشرة فى جميع أنحاء صالة العرض، تزكم أنفه  
وتساهم فى تزايد شعوره بالمهانة، هى مسرح آخر للرديلة؛ إذ كانت  
تجرى فيها عمليات داعرة سريعة بطلاتها بنات ليل من الدرجة  
العاشرة، وأبطالها من هواة النوع. ذات يوم، اضطر أسامة إلى ترك

هذه الوظيفة، بعد أن تجسدت له المأساة التي يحيها؛ إذ ضبطه زميل قديم له فى الوزارة، متلبساً بذلك العمل الدونى أثناء الليل. صحيح أن زميله هذا كان يصطحب معه خلال الحفلة الأخيرة فى ذلك اليوم فتاة شابة صغيرة، خمن أسامة من طريقة ملابسها المثيرة، وزينتها الصارخة وسلوكها الفج أنها واحدة من بنات الليل، لكن ذلك لم يمنع شعوراً بالخزى والمرارة اجتاحه وغمره؛ فلقد أدرك كم استخفّت الدنيا به، وهانت حاله؛ فتصيب عرقه، وصار كمن صُبَّ عليه سطل من الماء البارد، وارْتَبَكَ، ثم راح يتلعثم وهو يتكلم مع الرجل محاولاً تبرير عمله، فقال مرة إنه يفضل تفضية الوقت فى عمل مفيد، بدلاً من الجلوس فى المقهى ولوك سيرة كل من هب ودب، وقال أخرى إن صاحب السينما صاحبه وهو يعاونه من باب المودة وتمضية الوقت ليس إلا، ثم أقسم يميناً ثلاثياً أن يشرب زميله وصديقه الكازوزة على حسابه، وتسلل خلال عرض الفيلم الثانى فى الظلام، وقدم لهما كيساً من اللب الأسمر وكيساً من الفول السودانى المقشر؛ من باب الزيادة فى الكرم ليتسليا ويستمتعا أكثر. على رغم يقينه أنهما فى غنى عن متعته هذه، فقد شاهد زميله أكثر من مرة وهو يضم المرأة إليه ويتحسس صدرها. لكن كل محاولاته لم تمكّنه من استعادة توازنه النفسى وشعوره بأن كرامته لم تهدر ولم تُمس؛ فقد ظل يحس بأن ريقه ناشف كخطبة، وبأن شيئاً كالحجر يقف فى زوره ويجعله لا يستطيع بلع ريقه، وقد اضطر أن يدخل دورة المياه ليغسل عينيه المغرورتين بالدموع، فهو على رغم كل شىء - موظف حكومة محترم، وقبل كل شىء ابن ناس حميدى السمعة، وينتمى إلى عائلة أصيلة طيبة؛ فأبوه هو رستم

الليثى الذى كان والده ناظر زراعة الأمير طلعت باشا أحد أقرباء الملك فؤاد .

طافت بذهنه ذكريات مشروعه السابق لمشروع الأرناب، وهو مشروع تربية الحيوانات المنزلية الأليفة وطيور الزينة وأسماكها، الذى فشل فشلاً منقطع النظير، وكان مقره آنذاك شرفة الحجرة الداخلية التى تحتلها البنتان الآن. لقد اكتشف بعد فترة قصيرة من بداية المشروع عدداً من الثغرات الخطيرة فيه لا يمكن تجاوزها؛ فمثلاً كانت عصافير الكنارى الملونة الرقيقة، تظل فى حالة قلق بالغ، وتوتر عصبى دائم؛ بسبب حبسها داخل قفص ضيق لا تكف عن التطلع إليها فيه، والتلمظ عليها، القطنان الفارسيستان الرماديتان، وذكر القط السيامى الوحيد، الذين كانوا خميرة المشروع. أما المعارك بين ثلاثى القطط من جانب، وفريق كلاب الجريفون واللولو الصغير من جانب آخر، فقد ظلت مستمرة لا تنقطع، وخصوصاً أثناء الليل، بعد أن اتخذ فريقاً ذوات الأربع المتناحران من جميع أنحاء الشقة ساحةً للقتال، وقد أدت تلك الحرب التى لا تهدأ أبداً إلى حدوث خسائر لا يستهان بها فى البيت، فبين فو..فو، وخ..خ، وهو..هو، تكسرت أوان وأطباق من الزجاج والصينى، وفقدت حياة إلى الأبد أعز ما تملكه منها، وهو طبق الفاكهة المصنوع من الكريستال الوردى الذى كانت أمها قد ضمته إلى جهازها وقت زواجها بعد أن اشترته من بائع ساكسونيا جوال مقابل خمسين قرشاً، بالإضافة إلى سترة رجالية قديمة من الصوف الكشمير كانت لأبيها. وقد تسببت تلك الحرب الحيوانية فى تعرض أسامة لأشكال من اللؤم والتوبيخ المذهب من قبل الجيران كانت تجيء على صورة مذكرات احتجاج شفاهية



ينقلها أبناؤهم المبعوئون بصفة رسمية إلى البيت، وتأتى جميعها بصيفة واحدة تقول: «وحياتك يا عمى خلّ القطط تسكت والكلاب تبطل هوهوة؛ حتى نقدر ننام ونستريح» إضافة إلى ذلك، فقد اضطرت حياة الملاحقة لمخلفات الكلاب الموزعة على نحو عادل في كل ركن من أركان الغرف، في محاولة دعوية لمنع كارثة بيئية يمكن أن تحدث في البيت، وإلى جانب ذلك كانت تضطر إلى القيام برحلة يومية إلى السوق؛ لشراء نياشات الفراخ للقطط، وبقايا العظام من الجزارين للكلاب، لتعدّ لهم منها بعد سلقها وجباتهم اليومية اللذيذة، أما العصافير، فكان عليها أن تقدم لهم البرغل وأن تعتى بقفصهم وتنظيفه، فلما فاض الكيل بها، ونفذ صبرها طويل الحبال الذى لا ينفد عادة ببساطة، أعلنت حالة العصيان العام، فامتعت ليومين على التوالى عن الذهاب إلى السوق؛ لشراء الطعام للقطط والكلاب؛ بحجة أن رجليها متعبتان وأنها لا تقوى على المشى؛ مما أدى إلى أن تأكل القطط والكلاب بقايا الخبز والطبيخ، بل دفع الجوع واحدة من القطتين الفارسيتين إلى التهام قطع من الخيار المخلل على مضض، وهذا ما لم يقبله القط السيامى الذى رفض رفضاً قاطعاً النزول إلى الحضيض، وفضل الموت جوعاً على العيش في ذلة ومهانة؛ فرفض أكل العيش، واكتفى طوال هذين اليومين بصرصارتين اصطادهما ليلاً في غفلة من الجميع. ثم إن حياة صعدت من تمردها، فامتنت عن طهى الأرز بالشعرية لأسامة الذى لا يمكنه أن يأكل أى طبيخ بدون أرز، وأى أرز بدون شعرية، ثم افتعلت خناقات صغيرة مع البنيتين بخصوص عدم ترتيب حجرتهما، وترك الصابونة الناباسية تنوب في الماء بعد استحمامهما، فلما لم ينتبه أحد إلى ما وراء ذلك كله أعلنت

صراحة أثناء تناولهم الغداء أن الكيل فاض بها، وبلغ السيل الزبى، وردت على زوجها المستكف عن بلع اللقمة بدون أرز، بأنها ستترك البيت فوراً؛ إذا لم تُجَرَ عملية إخلاء سريّة للحيوانات خلال أربع وعشرين ساعة، ثم إنها شرعت، تلمّ هدمها قبل الانتهاء من الأكل، وراحت تكدّسها فى حقيبة صاج كانت مرمية تحت السرير منذ سنوات بعيدة، بدت كواحدة من حقائب كنوز قاع البحار التى يعثر عليها صدفة، فى الأفلام الأمريكية القديمة.

لما تأكد أسامة من أن حياة راكبة دماغها، وسادرة فى غيها، تراجع وأقسم يميناً بالثلاثة أن لا كلاب ولا قطط فى البيت بعد ذلك اليوم، ثم إنه بعد أن شرب شاي ما بعد الغداء وقيل لمدة ساعة، قام وارتدى ملابسه واصطحب الكلاب معه لترحيلها إلى محل متخصص فى بيع الحيوانات والطيور الأليفة منها وغير الأليفة، كالقروود والصقور وجميع أنواع الكلاب ما عدا البلدى والأرمنى على وجه التحديد، ربما مشاركة منه فى سياسة الانفتاح الاقتصادى، وعملاً على تنفيذ سياسات البنك الدولى المتعلقة بعدم تشجيع المنتج المحلى والصناعات المحلية، أما القط السيامى المتعالى الأنف فهو الوحيد الذى جرى الاحتفاظ به فى البيت تقديراً لنظافته وعزة نفسه، ولكونه ذكراً لا خوف عليه من العشار، بينما عاشت القطتان الفارسيّتان محنة حقيقية بعد قرار أسامة الجرى؛ إذ جرى بيعهما لسيدة من هواة تربية الحمام، تَمَقَّتُ القطط بالوراثّة، وتعتقد أن تلك الحيوانات هى المكنم المفضل للأرواح الشريرة؛ فكانت تحبسهما بجوار أقفاص الحمام السودانى والمالطى التى وضعتها على سطح منزلها، فيما يفترض أنه كمين لأى فأر عابر تُسَوِّلُ له نفسه

الاقتراب من الحمام أو من الحبوب التى يُطعم بها . وقد عانت القطتان معاناة فظيمة بسبب الجوع الشديد والحبس؛ لأن هذه السيدة لم تكن تقدم لهما طعاماً يُذكر، مكتفيةً بالماء؛ أملاً فى أن ينشطا طوال الوقت لصيد الفئران والهوام إذا بقيت معدتاها خاويتين تصرخان من الجوع. هكذا استتب الأمن فى البيت مرة أخرى، بعد أن ظلت حياة فى قواعدها سالمة، وقررت إهداء حوض أسماك الزينة - وهو آخر ما تبقى من المشروع - إلى ابن عمّ لأسامة؛ بمناسبة زفافه وتأثيثه منزل الزوجية، وهو القريب الوحيد الذى احتفظوا بعلاقة اجتماعية معه؛ بسبب تقارب مستواه المعيشى من مستواهم. وقد ضريت حياة بهذا الإهداء عصفورين بحجر واحد؛ فتخلصت من الأسماك التى تصيبها بتقرز لأنها تلتهم أبشع ما خلقه الله من وجهة نظرها وهو الدود، كما أنها سدت ركناً وأدت واجباً كان لابد منه مع ابن العم، بالإضافة إلى عدم تحميل ميزانية البيت أية أعباء جديدة لشراء هدية من السوق خصيصاً لهذه المناسبة.

كان أسامة يداخله إيمان عميق بأن مستقبله سيزدهر مع الأرناب، وأن تلك الكائنات الهادئة الوديدة ذات الفراء الأملس الناعم، هى الحل لكل مشكلات حياته، والنهاية السعيدة لمعاناته اليومية التى صار يواجهها منفرداً بعد وفاة أبيه وزواجه وإنجابِه فهو بدون أهل تقريباً؛ بعد تقلص علاقاته الاجتماعية وانكماشها مع معظم أقارب أمه وأبيه؛ لأنه موظف صغير محدود الدخل لا يمكنه مجارة حياتهم الميسورة كتجار فى السوق، ضالعين فى أهم نشاط اقتصادى عرفته البلاد خلال السنوات الأخيرة، وهو المضاربة فى العقارات والأراضى. ومنذ أن تزوج أسامة وأنجب البنيتين، ومرتبته يتضاءل دوماً أمام تمدد

الأسعار والمطالب الأسرية التى لا تنتهى. حتى إنه بات ينسى تماماً مسرات زمنه الأول الصغيرة، والتى كانت تتلخص فى الجلوس على المقهى كل مساء، ولعب الدومينو المفضل لديه على سائر ألعاب التسلية الأخرى. بالأحرى تخلق أسامة عن دفع نصف جنيه كان ينفقه على المشروبات بالمقهى يومياً، بعد أن حسب حسبته، ووجد أنه من الأفضل توفير خمسة عشر جنيهاً كل شهر لشراء كيلو عنب بناتى، أو كيلو بلح أمهات، أو رطب لتبليغ وجبة العشاء فى الصيف، أو ابتياع البرتقال "أبو سرّة"، والموز الذى تحبه ابنته الصغرى فى فصل الشتاء.

ظل سارحاً بأفكاره وهو واقف فى السيارة، يرقب من شباكها أولئك المنتظرين عند كل محطة تقف فيها. كان يتأمل وجوههم المكدودة الشاحبة، ونظراتهم الميتة المنطفئة البادية من عيونهم بلا معنى. أحس أنهم كائنات تحيا كما الموتى، كائنات تأتى إلى الحياة وتغادرها وكأنها لم تكن فيها أبداً، كان يدرك أنه يشبههم بشكل من الأشكال، إنسان بلا معنى، أتى إلى الحياة وسيتركها ذات يوم وكأنه لم يكن فيها أبداً؛ فهو إنسان بلا لون، بلا طعم، برائحة، مثل كل أولئك الذين يراهم واقفين على المحطات ينتظرون وكأنهم لا ينتظرون إلا الموت، فكل ما فعله فى هذه الحياة، هو أنه تزوج وأنجب ولا شئ أكثر من ذلك، لا شئ أكثر مما تفعله أية حشرة تافهة أو دودة صغيرة أو حيوان أعجم من مخلوقات الله الكثيرة. زهر بحرارة وهو يتحسر على حاله، فكم حلم أن يفعل شيئاً ذا معنى فى الحياة، وكما تمنى أن يكون متميزاً لافتاً للانتباه على نحو من الأنحاء، مثلما تشوق لأن يحب ويعشق بعنف؛ حتى يصبح نادرة

يتندرُّ بها الناس، لكنه على أية حال، لم يتجرأ أبداً على أن يكون  
 قيساً؛ فهو مدرك لعدم وسامته. وحلم أن يكون مطرباً مشهوراً  
 يدخل كل بيت ليحطم قلوب العذارى، لكنه لم يجرب الفناء على الملأ  
 أبداً؛ ربما بسبب النتائج السلبية الشديدة التي كان يحصل عليها  
 دوماً كلما شرع في ذلك أثناء تلييف جسمه في الحمام. لكن شعوراً  
 عميقاً بسوء الحظ ظل يداخله حتى اليوم؛ لأنه كان ذات يوم قباب  
 قوسين أو أدنى من الشهرة، بل كاد يقف على أولى عتبات القيمة  
 والمعنى، لولا أمه جازاها الله ورحمها؛ فقد كان مولعاً أثناء دراسته  
 الثانوية بتقليد أصوات الحيوانات، بل ربما كانت محاكاة أصوات  
 القطط والكلاب والحمير والخراف والبط والإوز وحتى الأرانب، هي  
 الهواية الوحيدة التي عرفها على مدى تاريخه البشري، وهي الهواية  
 التي اكتشفها ذات يوم بالصدفة؛ إذ كانت لدى أمه قطعة في البيت،  
 راح ذات مرة يسلى نفسه بتقليد مواء صغارها الذين وضعتهم منذ  
 فترة، فلاحظ أن القطعة قد بدأت تتببه وترتبك وأخذت تموء بدورها  
 بحثاً عن صغارها. وهكذا بدأت تستهويه اللعبة؛ فراح يموء بين  
 الحين والحين، مقلداً صوت القطط، وبالطبع اكتشفت القطعة الأمر  
 بسرعة، لكن أمه لم تصدق نفسها عندما سمعته، مثلما تعجب كل  
 الذين سمعوه يموء بعد ذلك؛ إذ أنهم لم يستطيعوا التمييز بين صوته  
 وبين صوت أي قط شرس يستعد لمعركة، أو قط جائع يتسول، أو  
 قط يطلب العشار في أنغام متنوعة من واعوا، واعوا، واعوا. ذات  
 يوم اشترك أسامة الذي كان صيته في مجال التقليد الصوتي  
 للحيوانات قد ذاع وانتشر في حفل مدرسي، وقدم فقرة فردية أدى  
 خلالها العديد من أصوات المستأنس والوحش؛ فحاز على إعجاب

شديد وتصفيق حاد من جمهور الحاضرين الذين ظنوا أن حماراً حقيقياً يقف أمامهم على المسرح وينهق، فالتقاء واحد من الحضور يعمل في الإذاعة وقدمه لصاحب برنامج "جرب حظك" الذي أفرده له بدوره حلقة كاملة لاقت نجاحاً جماهيرياً كبيراً؛ مما دعا الإذاعة إلى بثها عدداً من المرات بعد أن اكتشف مُعدُّ البرنامج عبر الخطابات الكثيرة التي وصلتته، مدى عشق الجمهور لأصوات الحيوانات. وقد دهش أحد الخبراء في الإذاعة جداً لذلك؛ لأن الحمير تنتشر وتتوزع على جميع أنحاء الخريطة الوطنية، كما أن الإحصاءات تشير إلى أن نصيب كل مواطن داخل العاصمة هو أربع من الكلاب والقطط، ناهيك عن بقية الأنواع الأخرى. وقد عرضت إدارة البرنامج في الإذاعة على أسامة وقتها أن تقيده بسجل الممثلين العاملين فيها ليساهم في بعض التمثيليات الإذاعية المطلوبة دراما تتخللها أصوات بعض الحيوانات، لكن الغضب الشديد الذي قوبل به من أمه جعله يُحجم عن الاستمرار في طريق الحيوانات هذا، وذلك بعد أن وشت به قريبة لأمه، استمعت إلى برنامج "جرب حظك"؛ فأخبرتها أنه جرى ذكر اسم ابنها ثلاثياً في البرنامج، وأن الجمهور ضحك كثيراً خصوصاً عندما قلّد صوت ذكر البط السوداني، والديك الرومي عندما ينفش ريشه ويُستثار، فقامت أمه بتوبيخه وزجره وقالت له إنه يرغب في تمرغ اسم العائلة في الوحل، ويريد أن يجعلها مسخرة للناس بعد أن تحول إلى مهرج كمهرجى السيرك، بل إن مهرجى السيرك أفضل منه؛ لأنهم يُضحكون الأطفال ولا يقلدون أصوات الحمير والكلاب. وبعد ذلك عيَّرته بخيبته في المدرسة وبلادته وذكرته بشهادته الشهرية التي

تكسف، وتُغمّ البال والخاطر، ويرسوبه المتكرر فى مادة الأحياء وبالكفكة الحمراء المحيطة بالدرجة التى حصل عليها (سنة من عشرين)، ثم بكت وتحسّرت على خيبة أملها فيه، وفى الحياة، ونادت على زوجها العزيز (أبيه) كى يخرج من تربته ويجىء ليراها ويرى ما فعلته الدنيا بها، وخيبتها التى ما لها وصف. وانتهى الأمر بأنها أخذت منه تعهداً شفافياً وفى حضور القرية التى ظلت تهدئها، وتنهيه أيضاً، بالأى يعود إلى فعلته هذه مرة أخرى، وإلا فإنه لن يكون ابنها ولن تعرفه، وربما وجدها ميتة ذات يوم بسببه؛ من شدة الغيظ وقبح المزار، إذا اكتشفت عودته إلى إصدار هذه الأصوات. وبناءً على تعليمات القرية، قام وقبّل رأس أمه واعتذر لها. لكنه على رغم كل هذه المرات القديمة التى لا تفتأ تتبع من داخله وتسمم روحه، وكل الإحباطات الحياتية المتتالية التى لاقاها، مازال يشعر بأن ثمت أملاً فى الحياة، أملاً فى أن يكون ويتحقق ويصبح كائناً ذا معنى، والأمل الآن يبرق مجدداً بداخله من خلال مشروع الأرناب الذى بات يعوّل عليه كثيراً، ويرسم من خلاله حياةً طيبةً ميسورةً، ربما منحه فرصةً للاسترخاء والبحث عن المزيد؛ من أجل التحقق والوجود على نحو أفضل.

راح يتذكر الأرناب بعيونها المستديرة البارقة المحدقة، وكأنها فى حالة اكتشاف ودهشة أزيلين تذكر حادث الولادة الجماعية الذى استقبل به يومه، واعتبرته حالة من التقدير والامتنان لتلك الكائنات الطيبة، المعطاءة بلا حدود، بل الرزينة المؤثرة للهدوء وعدم الإزعاج إذا ما قورنت بالدجاج والدّيكّة أو الإوز والبطة. صحيح أن نظراتها تبدو بلا معنى، لكن شكلها فى نظره لا يخلو من ظرف وطرافة وهى

تلتهم البرسيم الأخضر النديّ في الصباح، أو عروش الجزر عند الظهيرة، كم يكون منظرها ممتعاً لمعينه عندما يختلط لون العشب الأخضر بالوانها البيضاء والسوداء والبنيّة في تشكيلات بصرية رائعة.

كان يحلم خلال تلك اللحظات بترتيب حياته على أساس مشروع ينمو ويكبر ويتخطى حدود الشرفة والبيت، ينطلق به إلى عالم رجال الأعمال المرموقين، مشروع للأرانب يتحقق معه مثملاً لم يتحقق أبداً من قبل. نزل من الأتوبيس وسار متجهاً إلى الوزارة حاملاً بيده كيساً قماشياً في داخله أرنبان كبيران. كان أسامة قد صمم ذلك الكيس بنفسه وحاكه من قماش مخلاة العسكر السميك؛ حتى لا يتسنى لأي إنسان التكهّن بما في داخله. وقد تفتق ذهنه عن فكرة تبطين الكيس بالبلاستيك المتين؛ ضماناً لعدم تسرّب أية فضلات أو أوساخ محتملة من الأرانب يمكن أن تلوث ملابسه عند حمله في الطريق.

في حوالى الساعة العاشرة والنصف، دخل أسامة غرفة المدير العام ليوقّع طلب تحويله إلى الطبيب المختص ليحصل منه على الإجازة المرضية، وهو الطلب ذاته الذي كان قد سبق له توقيعه من رئيسه المباشر. وعندما رفع المدير رأسه الصغير عن الأوراق التي كان يقرؤها أمامه، واكتشف أن الواقف أمامه هو أسامة رستم موظف المواليد بقسم الإحصاء بالوزارة، هتف متسائلاً وهو يشير في قراءة الطلب:

- خير يا أسامة، مالك؟ كل يومين إجازة، مرة عارضة، ومرة مرضية، شكك في منتهى الحلاوة والحمد لله.  
رد أسامة بمسكّة وصوت خفيض قائلاً:



- أبدأ والله يا أستاذ فهمى، من يومين والكل متقلبة على، عاوز  
أعمل أشعة؛ لأنى شعرت الصبح بحسرة بول شديدة، وحرقان غريب.  
واصل المدير كلامه وتساءل:

- ألف بعد الشر عنك يا أخى اشرب عصير قصب على الريق  
واغل حلف برّ. صحيح أنه مرّ جداً، لكنه ممتاز للكل ويزيل التعب  
منها بسرعة. لكن لى سؤالاً والله يا أسامة بخصوص الأرناب؛ لأنى  
شفت عبد الحميد الساعى الصبح ومعه كيس قماش كاكى، فلما  
سألته، قال لى إن الكيس فيه أرناب تخصّك.

فوجئ أسامة بكلام المدير، فرفع يده إلى مؤخرة رأسه وتحسس  
خصلة الشعر المقاربة لقفاه فى حركة لا إرادية يقوم بها عادة كلما  
شعر بأنه فى ورطة ما. أحكم نظراته فى عيني الرجل الجالس  
قبالته، محاولاً تقصّي ما لديه من معلومات تتعلق بمشروع الأرناب.  
وراح يُعمل ذاكرته أثناء ذلك؛ خشية أن يكون قد سرّب عن غير قصد  
خبراً بخصوصهم فى الوزارة، لكنه تأكد أنه لم يبيع لأى إنسان فى  
العمل بكلمة واحدة عن ذلك، حتى ولا زميله المقرب إليه فى قسم  
الإحصاء، شاعر العامية الرقيق الذى يجلس عادة إلى جواره،  
والمختص بحل الكلمات المتقاطعة... وحتى لو كان المدير قد تناهت  
إليه أية معلومات تخص الأرناب، فليكن ما يكون، وليذهب إلى  
الجحيم؛ لأنه سيتجاهل كلامه تماماً، ويستهل حتى لا يفتج على  
نفسه باباً فيطلب المدير منه أرناب لا يسد ثمنها، أو يضطر إلى  
مجايلته فيبيعه لها بثمن أقل مما يبيعه للناس... ثم إنه إنسان لا  
يحب أن يعرف زملاؤه ورؤساؤه عنه أى شىء يتعلق بحياته الشخصية  
والعائلية خارج العمل؛ لذلك أسعفته قريحته المستعدة لمثل هذه

المواقف بكذبة سريعة استخرجتها من أرشيف أكاذيبه الكبير، المكتسب عبر سنوات طويلة من العمل في الحكومة، فكحّ وتحنح قليلاً ثم قال:

. أبدأ. لى قريب مريض فى مستشفى الحميات، قلت لروحي أعوده، وأدخل عليه بأرنبين هدية لأن لحم الأرناب خفيف، ثم إنه أفضل من الحلويات بالنسبة إليه، والحقيقة أنى اشتريتهم من واحد معرفة، عنده بطارية أرناب فوق سطح بيت أمه، ودائماً أتعامل معه لأن الجماعة عندى فى البيت أفضل أنواع الظفر عندهم هو الأرناب، والرجل صاحبى أمين ومضمون جداً، وبضاعته ممتازة. استمع المدير إلى مرؤوسه على مضض، وكأنه لم يفتت بما قاله، ثم سألته عن سعر كيلو الأرناب، فأجابته قائلاً:

. بستة وربع، أرخص من السوق فى الحقيقة، ثم إنه مضمون من ناحية الأكل والنظافة؛ لأن الرجل، كل الوقت، يحط لهم البرسيم وعروش الجزر الأصفر... يعنى أرناب ممتازة والله. تشتري وأنت مغمض عينك.

أخيراً وصل الرجل إلى بيت القصيد فقال:

. عال.. عال والله لو قدرت، تخلىنى أجربه يا أسامة، وتشتري لى منه اثنين أكون فى غاية الشكر، يعنى هات لى أرنبين كل واحد فى حدود كيلو وربع؛ لأنى أفضل الأرناب الصغيرة. وبحركة مسرحية مدّ الرجل يده إلى جيبه كمن سيخرج نقوداً ليدفع، فبادره أسامة بقوله:

. خلّ الحساب يا أستاذ فهمى لما أجيب لك الأرنبين، كلها مسائل بسيطة، لكن أنا عاوز أعرفك أن صاحبى يبيع الأرناب على حالها،

يعنى صاحبة، وكل إنسان يتصرف بمعرفته فيها. رسم الأستاذ فهمى  
هرمّين صغيرين بحاجبيه الكثيفين استككاراً، فالمفروض أن يأتيه  
أسامة بالأرنبين مذبوحين ومسلوخين ويلا مصارين، كما درجت  
العادة، لكنه لم يتراجع عن طلبه وعزّزه بطلب جديد من أسامة ألا  
وهو أن يميل فى طريقه على أى فرارجى، ليذبح الأرنبين ويسلخهما،  
ويأتيه بهما جاهزين للطبخ.

تتهد أسامة وزفر، فهو يفضل بيع الأرناب حية كلما أمكنه  
ذلك؛ حتى يقلل من تعب حياة فى عمليات السلخ والتنظيف التالية  
للذبح، لكنه أصبح مضطراً إلى ذبحهما له على أية حال، مثلما  
يفعل مع بعض الزبائن، فالرجل وقّع طلب الإجازة المرضية مشكوراً  
دون تعنت، والطبيب سيوافق عليها أيضاً ولا بُدّ، بعد أن يقدم له  
الأرنبين على سبيل الهدية. "أرنبان مقابل إجازة لمدة أسبوع أقضيه  
فى البيت متفرغاً لمشروع الأرناب، عظيم جداً" قال لنفسه وهو  
يتمنى حلّ مشكلة القفص خلال هذه الفترة وشراء علف من بقايا  
الدماء والأسماك المجففة يباع جاهزاً، عرف مؤخراً أنه مفيد جداً  
فى نمو الأرناب بسرعة وزيادة وزنها، كما أنه يتمنى عمل مزلاج  
متين لباب القفص بدلاً من المزلاج الحالى الذى يستسلم لهبات  
الهواء أحياناً فينفتح بسهولة، ناهيك أنه يريد أن يريح جسده  
المنهك يومياً من رحلة الذهاب إلى الشغل والعودة منه، وركوب  
السيارة العامة المزدحمة بالركاب. رجع إلى البيت ظهراً، بعد أن  
تمّت مهمة الإجازة بنجاح، فقد شكره الطبيب على لمسة الأرناب  
الناعمة والتمس منه أخرى مثلها فى المرات القادمة لمساعدته الذى  
يدوّن الإجازات فى السجل، لكنه ما إن فتح باب الشقة، ودخل

البيت حتى سمع زعيق ابنته الصغرى سامية وهى تصيح غاضبة:  
 - أرانب.. أرانب، عيشتنا أصبحت أرانب فى أرانب، كل يوم الأكل  
 بالأرانب، عاوزه سملك، فراخ، أى نوع من أنواع اللحم غير الأرانب، يا  
 عالم حرام عليكم، كأننا فى سجن أو معسكر جيش، والأرانب مقررة  
 علينا وكأنها قدر.

ثم سمع صوت أمها وهى ترد عليها بغضب أشد وتقول:  
 - والله أصبحت غلسة يا سامية، وسخيفة جداً، قاعدة تتبطلرى  
 على النعمة وتقولى أحب وأكره، ناس ياما أنفسهم فى نسيرة أرنب أو  
 نسيرة ظفر، وأنت لا حمد ولا شكر، قولى يا شيخخة الجود فى  
 الموجود والحمد لله وإلا زالت النعمة من خلقتك، حرام أنه لا عاجبك  
 العجب ولا الصيام فى رجب.

لثت أسامة صراخهما من مكانه فى مدخل الشقة مطالباً إياهما  
 بالسكوت؛ لأن زعيقهما وصل إلى مدخل العمارة. خلع حذاءه ودخل  
 غرفة المعيشة حيث ألقى بجسده المتعب على أول كرسى قابله، ثم  
 أعلن للمتخاصمين فى المطبخ أنه جائع، وطلب من حياة أن تسعفه  
 بأية لقمة لأنه سيسقط من طوله من شدة الجوع. قام إلى التلفزيون  
 فشققه وعاد إلى مقعده ليتابع نشرة أخبار الظهيرة التى كان يجرى  
 بثها فى ذلك الوقت، اكتشف أنها لا تختلف كثيراً عن نشرة اليوم  
 الفائت واليوم الذى قبله، بل نشرات الأخبار التى تُبث منذ شهر  
 مضى. حكّ رأسه ملأ ثم فك أزرار قميصه، وظل يتابع أخبار  
 النشرة فى الوقت الضائع حتى إعلان زوجته أن المائدة جاهزة لكى  
 يأكل. لفت نظره أن مشهد قوات الطوارئ الدولية فى يوغوسلافيا  
 المواكب لكلام المذيعة، هو المشهد ذاته الذى رآه منذ يومين مصاحباً

لخبر آخر عن المأساة ذاتها، جنود الأمم المتحدة بقبعاتهم سماوية اللون يهرولون ويركبون العربات دون أن يفهم المرء معنى لذلك. كان يفكر في الأرناب، وفي إجازته المرضية التي كرسها خصيصاً لرعايتها، كما فكر في أرنبي المدير واكتشف أن كذبة صاحبه الذي عنده بطارية أرناب، كانت فكرة وجيهة يمكن أن يعممها داخل الوزارة، التي يمكن أن تصبح سوقاً ممتازة للأرناب، وسرعان ما حسب حسبة بسيطة اكتشف بعدها أنه لو باع عشرين أرناباً كل شهر في الوزارة، بمعدل وزن كيلو جرامين لكل أرناب، لَكَسِبَ ما يزيد عن ضعف مرتبه الشهري الذي يتقاضاه مقابل عمله في الوزارة بعد إحدى وعشرين سنة خدمة.

أفاق أسامة من أفكاره وحساباته على بداية ندوة اقتصادية أعقبت نشرة الأخبار، تتناول المشروعات الصغيرة وتتميتها في الريف والحضر، كان ضيف الندوة المتحدث أستاذاً جامعياً وخبيراً اقتصادياً ووزيراً سابقاً، راح يتناول سياسات الأمم المتحدة في تمويل هذا النوع من المشروعات البيئية اللازم لنمو بلدان العالم الثالث والذي يعتمد على أساليب إنتاجية محلية ولا يحتاج إلى تكنولوجيا متقدمة ورأس مال كبير. أغلق أسامة التلفزيون وسار إلى زوجته التي بدأت في إضافة الثوم المقلّى إلى الملوخية وقال لها:

- تعرفي يا حياة. طَلَقْتُ في دماغى فكرة، لو تحققت، نكون وصلنا فعلاً، فلو قدرنا واشترينا أية أرض صغيرة، نعمل فوقها مزرعة أرناب، نقدر بعدها أن نطلب أى قرض صغير على سبيل المساعدة من الأمم المتحدة.

حركت حياة المغرفة في وعاء الملوخية لتقليبها، ثم تذوقت بها

بعضاً من الطبخ، فلما اطمأنت إلى درجة ملوحته، نظرت إلى زوجها من تحت إلى فوق وقالت له باستخفاف:  
- يعنى الأمم المتحدة فاضية لأمثالك يا أسامة، معقول تعطيك  
الفلوس لأجل بطارية الأرناب.

أخذ أسامة يشرح لها بحماس ما تابعه فى ندوة التلفزيون، وكيف أن الخبير المتحدث، أكد على ضرورة المشروعات الصغيرة. صحيح أنه لم يذكر الأرناب بالاسم، لكن لِمَ لا، أليس ما يقوم به فى الشرفة من تربية الأرناب يعتبر مشروعاً صغيراً أيضاً، قابلاً للتطوير بحيث يسمح بالحصول على قرض؟.

واصلت حياة تلقيب ملوختها وهى تستمع بأذنين نصف مفتوحتين لما يقوله رجلها، كانت تشغلها فكرة واحدة هى أن أسامة عاد إلى عاداته القديمة فى بناء مشاريع هوائية وهمية لا وجود لها إلا فى أحلام يقظته. كانت تعتقد أنه مريض مرضاً خفيفاً بجنون العظمة ربما كان مرجعه أصالة عائلته، والحياة الطيبة التى عاشها فى طفولته فى بيت جده ناظر الزراعة، والتى كان يحب أن يتذكر بعضاً من تفاصيلها بين حين وآخر، فيقص عليها كيف كان يأكل بملاعق من الفضة الخالصة، وكيف كانت قمصانه الداخلية من الحرير الهندى المفتخر، وكم ركب عربة جدّه ذات الأفراس الأربعة المُنْهَمة. وكانت حياة فى البداية تظن أنه يبالغ بعض الشيء عندما يسترسل فى مثل هذه الذكريات، وأنه يضيف من عنديّاته وقائع لا أساس لها قط، لكن الطريقة المؤثرة التى كان يتحدث بها عادة، وحماسه الشديد، جعلها تقتنع فى النهاية بصدق ما كان يقصّه عليها.

ظلت تستمع إليه بلا مبالاة، على رغم الجدّة واليقين الكبيرين اللذين تمتلئ بهما نبراته، ولم تنتبه إلى نظراته المتلمظة المتطلعة إلى ما يحيط بمعصمها الأيمن من ذهب. السواران اللذان كانت قد اشترتهما بعد أن دبت قليلاً من مصروف البيت، وأضافت ما ادخرته من هذا إلى فلوسها المتحصلة من نصيبها في ميراث أبيها. تابع أسامة شرح وجهة نظره لحياة في محاولة جديدة لإقناعها فقال:

. لو تمكنا يا حبيبتي من شراء قيراطين بالمدد، حتى لو في أرض صحراوية وبيننا مزرعة أرانب، تبقى خطوة عظيمة. لأن الأمم المتحدة - حسب كلام التلفزيون - تقبل في هذه الحالة أن تعطينا التمويل. لكن في وضعنا الحالي صعب أن نتكلم ونقول: والنبى يا أمم يا متحدة مؤلى لنا مشروع أرانب في البيت. تبسّمت حياة دون أن تترك ما يرمى إليه وعارضته بقولها:

. طيب، عظيم، لكن القراريط يا سيدى تلزم لها فلوس!. وأنت عارف أنك يد وراء ويد قدّام، وعمّال تقول: يا هادى استر، هل تعرف أن "فاتن" بنتك محتاجة إلى درس كيمياء حيوية، والدكتور طلب منها ألفين من الجنيهات، ألف مقدم وألف عند نهاية الحصص<sup>5</sup>. شعر أسامة أن مفاصله سابّت قليلاً، فكل ما ادّخره بعد تعبهِ وشقاه في مشروع الأرانب لا يزيد عن ألف وخمسمائة جنيه لا غير، وهو يفكر خلال هذه اللحظات جدياً في شراء الأرض، وفي مصارحة حياة بضرورة بيع سواربها، ليضيف ثمنها إلى مبلغه المدّخر ويشتري بها يتحصل القيراطين إن أمكنه ذلك. ردّ على زوجته بغیظ:

- بلا دروس كيمياء حيوية بلا كلام فارغ، المفروض أن تتنبه البنت إلى دروسها وتذاكر كيمياء حيوية وخراء. يعنى هى بعد ما تتخرج من الجامعة سيصبح وضعها أفضل!، الأمور لن تختلف هى أى شيء يا أختى؛ لأنه مستحيل أن تشتغل بسرعة؛ الدنيا مقفلة والبطالة مخفية الشباب على قفا من يشيل فى كل مكان.

تركت حياة ما بيدها، وضربت كفاً بكف، معلنة غضبها من كلامه، وتسألت إن كان يريد لابنته أن تترك الجامعة ليستريح، أو أن تظل ترسب كل سنة بسبب الكيمياء الحيوية التى تعيد دراسة السنة النهائية للمرة الثالثة من تحت رأسها، وأن البنت لو كانت حصلت على الدرس الخصوصى عند الأستاذ إياه من أول سنة، لكانت متخرجة فى الجامعة قبل عامين.

لم يعرف أسامة بماذا يرد عليها، كان مستوعباً منطلقها ومقتنعاً بصحته، لكنه كان يشعر أيضاً بضيق بالغ، وعذاب من ينفخ فى قرية مقطوعة دون جدوى، فلطالما حلم بالتقدم خطوة إلى الأمام، وتمنى التغير والانتقال بحياته وحياة أسرته الصغيرة من عالم الشقاء والمعاناة إلى حافة الراحة والأمان. لقد حصل على إجازة مرضية لمدة أسبوع نوى توضيب قفص الأرانب خلاله، فهو يريد لمشروعه الصغير أن يكبر وينطلق، بل إنه يحلم دائماً بالاستقالة من عمله نهائياً والتفرغ تماماً للأرانب التى اكتشف أنه يمكنه لو رعاها واهتم بها كما يجب أن يحصل منها على مدخول شهري كبير، لا يمكن مقارنته بأية حال من الأحوال، بما يتقاضاه من وزارة الصحة، ولو أن لديه الإمكانيات والمكان الملائم لتوسّع فى مشروعه فوراً، ثم إن ما عرفه اليوم من ندوة التلفزيون بخصوص الأمم المتحدة، نبّهه وحمّسه



للفاية وأشعره بضرورة التعامل مع مشروع الأرناب بجدية أكثر؛ فهو مشروع ذهبي يدر أرباحاً مجزية لا بأس بها.

سرح أسامة بأفكاره وذهب بعيداً مثلما يفعل عادة كلما تمنى أمنية من الأمنيات، تصوّر نفسه وقد تملك قطعة أرض أقام عليها مزرعة أرناب ضخمة وفقاً للأصول العلمية الحديثة في تربية الأرناب، مزرعة يسميها "الأرناب الذهبي"، وتصور نفسه جالساً خلف مكتب فخم في مبنى الإدارة يتكلم في إعلان تلفزيوني عن إنتاج المزرعة بصفته صاحبها وراعيها. صمّم أسامة إعلاناً سريعاً عن المزرعة، ثلاث حسناوات شقراوات يحطن به وهنّ يتراقصن ويتمايلن، بينما هو يتحدث عن مزايا لحوم الأرناب اللذيذة، ثم يعلن أن سرّ السعادة يكمن في تذوق لحم الأرناب الذهبي، وبعد ذلك تقول أجمل الفتيات في لقطة مكبرة تبرز شفثيها المثيرتين وأسنانها الوضاعة وأكبر مساحة ممكنة من صدرها الممتلئ إن الأرناب الذهبي هو لغة العصر وسمّة التطور.

أفاق أسامة من سرحانه على صوت زوجته وهى تقول:  
- أسامة، أنت نمت وأنت قاعد في مطرحك، يا الله قم، غير هدمك واغسل يديك لأن السفرة جاهزة.  
رنّ جرس الباب، وذهبت سامية لتفتح وعادت بصحبة فتحة بنت الجيران، وقد جاءت كمبعوثة من أمها وحاملة لهدايا أبيها العائد من عمله في الخليج منذ يومين.

وهناك حياة بسلامة وصول الأب، وشكرتها على الهدايا، مؤكدة أنها لابد أن تزورهم مع أسامة لتحية العائد، فلما انصرفت الفتاة فتحت سامية كيس الهدايا، لتجد بداخله قطعة قماش بورّيات كبيرة

ذات ألوان فاقعة، ونصف كيلو شاي خشن، ومثله تقريباً حبّ فلفل أسود.

تهتد الأم بارتياح شاكرةً الجيران أصحاب المعروف، ولفتتهم الكريمة ثم إنها توجهت إلى زوجها قائلةً:

ربنا يخليه لعياله، سفره إلى الخليج حلّ لهم مشاكل ما لها حصر. بكرة ربنا يكرمنا، وفاتن تتخرج وتشتغل مُدرّسة وتسافر لبلد من البلاد.. والنبي يا أسامة، هات من القفص فردتين لردّ هدية الحاجة أم فتحية.

نظرت سامية بتأفف إلى هدية الجيران وقالت:  
لون القماش فلاحى جداً، مستحيل أحطّه على جسمي، ثم إن الألياف الصناعية فظيعة في الحرّ، إياك يا ماما تقولى فصلّى القماش يا سامية، أنت وأختك.

انفجرت الأم في البنت التي لا يمكن إرضاؤها أبداً وقالت:  
يعنى نرميه، نرمى القماش، أقول للناس ردّوه لأنه ألياف صناعية وذوقكم بلدى. خلى عندك ذوق، وحطّى في عينك حصوة ملح. كفاية إن الرجل فكّر في هدية لنا.

خرجت البنت من المطبخ وهي تبرطم حانقةً، وخرج أبوها إلى الحمام ليفتسل بعد أن تابع المشهد كله دون تعليق؛ لأنه لا يفهم في القماش كما تقول زوجته. لكنه شعر بالضيق بسبب المشاحنات التي لا تنتهي بين امرأته وابنته الصغرى. كان يجد الأم محقّة دائماً، ويعجزها كثيراً نظراً إلى صعوبة الحياة المتزايدة، التي تضطر إلى مواجهتها يوماً بعد آخر، وكم قدر لها محاولاتها الدعوية لجعل حياة ابنتيها تسير على نحو أفضل، لكنه كان يُكنّ إعجاباً خاصاً لصغيرته

المشاغبة؛ فهي متمردة، ذكيّة، ترفض الانصياع للأمر الواقع، وتتشدّد الاختلاف عن الآخرين دائماً، وكم تمنى لو كان مثلها فى أى يوم من الأيام وامتلك هذه القدرة الهائلة على المحاجّة والرفض، لكنه لم يكن مثلها أبداً، لم يستطع قول: "لا" فى أى وقت من أوقات عمره، لم يقل "لا" لأمه أبداً، حتى عندما كبر ونضج ودخل ديوان الرجال، وأصرّت على تزويجه من حياة؛ لمجرد أنها سترث عن أبيها ربع بيت قديم فى حى المنيرة، فحياة لم تكن فى يوم من الأيام فتاة أحلامه؛ فهي قصيرة بثديين صغيرين، بينما هو يفضّل، وما زال، المرأة الرئانة ذات الصدر الضخم التى تدخل ضمن برنامج أمانيه الصغيرة التى يحلم بتحقيقها يوماً ما؛ ليفعل ما كان يفعله أحياناً فى صدر شبابه الأول؛ حين كان يجلس فى المقهى ويتابع الرائحات والغاديات من النساء بعينه، ثم يغمز لواحدة منهن ذات صدر سخى وأرداف وافرة، ويتعقبها فى الطريق ليغرق مسامعها بأرق كلمات الغزل والغرام؛ حتى تضعف وتلين وتوافق على لقائه فى كازينو الأرنب السعيد.

لكنه على رغم عدم إعجابه بحياة، كيف نفسه معها، وبات يتقبلها شيئاً فشيئاً، خصوصاً أنها تلبى رغباته دائماً، ولا غبار عليها كأم رعوم وطباخة ماهرة، وسيدة بيّت تعرف كيف تحبّق وتدبّق ملمّات الغلاء. لكن كل ذلك لم يمنعه من أن يردد لنفسه بين الحين والحين، أنه من الصعب، أن يمضى المرء حياته مع امرأة واحدة فقط. بالطبع لم يفكر أسامة فى أن المرأة يمكن أن تنظر إلى الأمر بمنظاره أيضاً. وهو على أية حال، دجن نفسه على حياة، ولم يقل لها: «لا» أبداً؛ ربما لأن هذه المرأة لم تمنحه الفرصة ليقولها لها ولو مرة واحدة بسبب أسلوبها الناعم، وطريقتها المرنة

فى إقناعه بالأشياء؛ وربما لأنه شطب هذه الكلمة من قاموسه منذ زمن بعيد ضماناً لأن تمضى الحياة به فى أمان دون التعرض لمشاكل أو متاعب المواجهة الراضية مع الآخرين. هو لا يستطيع أن يقول: «لا» مثلما تقولها ابنته ببساطة ويسر، حتى فى العمل، لم يقل لرؤسائه: «لا» فى أية مناسبة، بل هو يظن أنه لم يعد يقرأ هذه الكلمة منذ سنوات مضت، لا فى الصحف ولا فى المجلات، ولم يعد يسمعها من الناس إلا نادراً، أما يده فلم تخطها بقلم منذ زمن قد يعود إلى أيام دراسته الابتدائية عندما كان يهتف مع التلاميذ ويقول: «لا للاستعمار» ثم يكتبها عند عودته إلى الفصل عشرين مرة فى الكراس. حتى فى الانتخابات العامة التى يمقتها ولا يجد أدنى ضرورة لها، بل يشعر أنها مسرحية سخيفة، يتكرر تمثيلها بين الحين والحين، لم تخط يده كلمة «لا»؛ إذ كان مضطراً لقول: نعم؛ لأنه يشارك فيها عادةً بناءً على تعليمات رؤسائه فى الوزارة، فيذهب إلى المقر الانتخابى وكأنه أرنب صغير ممسوك قسراً من أذنيه لا يقوى على الإفلات، ويكتب منصاعاً الكلمة التى حفظها عن ظهر قلب وأجاد قراءتها وكتابتها «نعم».

هياً أسامة نفسه لالتهام وجبة غداء مكونة من أرز وملوخية بالأناب، وهى الوجبة التى كانت حياة قد قررتها على الأسرة منذ بداية مشروع الأناب بمعدل أربع مرات أسبوعياً طوال شهور الصيف. لم يكن أسامة يضيق بهذه الوجبات على الإطلاق؛ فهو مستعد لأكلها على امتداد أيام الأسبوع، مادامت هى الوجبة المغذية الممكنة المتاحة للأسرة، لكن قلقاً بدأ يداخله بسبب تأفف وتذمر ابنتيه منها، خصوصاً الصفرى ذات اللسان السليط التى لا تكف عن التهكم

والسخرية فتقول إنها كلما تطلعت إلى المرأة تشعر بأن أذنيها تكبران وتتموان إلى الأعلى كآذان الأرناب، أو تتأدى على أختها لتدعوها إلى الغداء كلما وضعت أمها طبق الأرناب المحمرة على المائدة قائلة:  
يا الله يا فاتن، تعالى، ابتداء فيلم أفواه وأرناب.

كان أسامة يخشى أن يفقد أعصابه ذات مرة ويلطمها على خدها بسبب سخريتها السمجية هذه التي تمتد لتتال من مشروع الأرناب ذاته في كثير من الأحيان، فتطلق عليه مرة «فشروع الأرناب»، ومرة أخرى تسميه: «مشروع الخطة الأرنبية الأولى». غير أن أسامة يحاول التحكم في أعصابه عادةً ليقينه أن الفتاة لا تدرك الآفاق المنتظرة من وراء هذا المشروع، والآمال التي يعقدها عليه؛ حتى ترفع الأسرة مستوى معيشتها وتعيش في المستوى الإنساني اللائق، وكان يلتمس لها العذر كذلك؛ لعلمه أن البنت المسكينة، ليست إلا واحدة من أبناء الجيل الجديد الضائع الذي لا يعرف كيف يتحمل المسؤولية ولا كيف يتحایل لمواجهة أعباء الحياة، وهو جيل يرغب أيضاً في الكسب السريع دونما جهد أو كفاح يبذله في سبيل الوصول إلى ما يريد؛ لأنه يرى الكثيرين في كل مكان يعتلون الأمواج بسهولة ويسر، ويحققون أهدافهم عبر صفقات سريعة وأعمال وهمية فاسدة، باتت هي الأسلوب المهيمن على دنيا الأعمال.

جلس إلى طاولة الطعام، وراح يأكل ملتهماً الجزء المفضل لديه من الأرنب ألا وهو المتن، فكّر وتردّد كثيراً قبل أن يستجمع شجاعته ويصارع زوجته برغبته في بيع سواربها الذهبية وشراء قيراطين من الأرض، قال لها إنه سيعوضها عنهما فيما بعد، عندما يكبر مشروعه ويزدهر ويحصل على مساعدة الأمم المتحدة، رجاها من كل قلبه أن

تطيل بالها عليه وتتسلّح بالصبر ولن تقدم أبداً، وذات يوم سعيد سوف تتذكر كلماته هذه بعد ما ترى بأم عينها حياتهم وقد شملها العزّ وجرى الخير فيها كل مجرى من المكاسب الهائلة التى ستعود عليهم من المشروع، الذى سيفتح بدوره آفاقاً بلا حدود لمشروعات مستقبلية أخرى ربما جعلتهم من أصحاب الملايين.

راح أسامة يعدّد لامراته بعضاً من أسماء أشهر رجال الأعمال فى المجتمع ممن بدأوا من الصفر وبرأسمال لا يُذكر، مثلما يفعل هو نفسه الآن، لكنهم نمووا وكبرت أعمالهم بفضل شطارتهم وذكائهم ومثابرتهم على العمل، ثم لوقوف زوجاتهم إلى جانبهم ومؤازرتهم لهم، فهذا بدأ بكشك سجائر صغير بميدان العتبة الخضراء، لكنه تحول الآن إلى صاحب واحدة من أهم ثلاث شركات فى البلد للاستيراد والتصدير، وذاك بدأ بفرش فاخرة على أول ناصية بشارع عرابى، وصار الآن صاحب أكبر مصنع لتعليب الفاكهة وحفظها فى الشرق الأوسط، والثالث...

ظل أسامة يتابع كلامه لحياة فى محاولة دعوية لإقناعها بالجدوى الاقتصادية العائدة عليهم من بيع ذهبها، ولم يترك لها فرصة لتعرض أو تناقشه، بل أخذ يلامس وركها القريب بفخذه فى حركة غزلية غير عفيفة، ثم قال:

- بكره لما الفلوس تدور فى أيدينا يا حياة نعمل - إن شاء الله - أول مشروع من نوعه فى مصر وربما فى أفريقيا كلها. مشروع فكّرت فيه لما كنت فى الحمام قبل الأكل وهو مشروع الأرانب المعلّبة. - أرانب معلّبة؟ تساءلت حياة وهى تكسر بأضراسها دماغ الأرنب المحمّر؛ حتى تستخرج مخّه الصغير من داخله وتلتهمه بتلذذ، بينما

نظرت في استنكار إلى سامية التي أطلقت ضحكة ساخرة، دفعت أسامة إلى أن يبتسم رغماً عنه، ويتابع كلامه قائلاً:

- افهمي يا بنت يا عبيطة، أي نعم أرناب معلّبة، أرناب مفرومة معلّبة، أرناب معلّبة سريعة التحضير، أرناب بالملوخية الخضراء، كبد وقوانص أرناب معلّبة، أرناب معلّبة بصلصة الطماطم، أرناب معلّبة بالمايونيز، أرناب معلّبة لمرضى السكر وللرجيم، ما رأيكم؟

كان يتحدث بحماس وانفعال بالغين، فرفع طبقه دفعة واحدة إلى فمه ليشرّب قليلاً من الملوخية دون أن يستخدم المعلقة، وراح ينظر إليهما ليرى مدى تأثير كلامه عليهما، فلاحظ نظرات القرف وعلامات الاستياء على وجهها، لكنه لم يدرك وهو في قمة استغراقه فيما يقول، إنها كانت متأففة بسبب التهامه الملوخية بهذه الطريقة، فاستمر في خطابه لهما قائلاً:

- فكرة جهنمية والله العظيم يا حياة، بيعي الأساور واسمعي كلامي؛ لأننا لابد أن نتحرك ونكبر، ونتحول إلى مشروع بالمعنى الحقيقي، فالزمن زمن شطارة، ولزم أن يفكر الإنسان ويشغل، والدنيا قدّامنا مفتوحة، لازم نفتح لها صدرنا، ونجازف فيها بالحكمة والعقل.

لم تعرف حياة بماذا ترد عليه؛ فأسامة قادر على التأثير عليها، وإقناعها دائماً، مثلما هو قادر على إرضائها. إنها تحبه وتؤمن به، بل تشعر بدرجة من الدونية تجاهه، وتعتقد أنها بزواجها منه أعطتها الدنيا أكثر مما تستحق بكثير، فهو من عائلة محترمة ذات اسم، وجدّه ناظر الزراعة، إضافة إلى أنه وسيم، طويل، عريض، أبيض، يسدّ بجسده الباب، بل هو أوسم رجل في الدنيا من وجهة نظرها. أما

هى، فشحيحة الملاحه، وأبوها كان مجرد صاحب محل لكُلف الخياطة يبيع الأزارر والخيطان وقماش البطانات والترتر وخزج النجف والإبر والدبابيس، وعلى رغم أن حياتها معه لم تكن ميسورة أبداً، وأنها كانت تغتاط منه كثيراً بسبب شخصيته اللامبالية بشؤون البيت عندما كانت تناقشه فيها، وعلى رغم فشل كل مشروعاته السابقة إلا أن حياة كان يداخلها شعور غامض بأن زوجها لابد أن يُوفَّق وينجح ذات يوم بعد أن يُعوِّض الله صبره وصبرها خيراً، فهو طيب ومجتهد، وفي حاله تماماً لا يضمر شراً لأى مخلوق كان. لكن المشكلة أن السوارين هما كل ما خرجت به من الدنيا، بعد أن اشترتهما بثمن غال هو حصتها من بيت أبيها، الذى بيع بثمن بخس؛ لأن البلدية أدخلته ضمن خريطة إعادة تنظيم الحى وتوسيع الشارع الواقع فيه.

بدا كلامه عن المشروع مثيراً لها، ويحمل الكثير من الآمال المريضة، لكنها كانت متوجسة، ولا تدرى ما الذى يجب أن تفعله على وجه التحديد، أتوافق أم ترفض؟. هى تخشى خسران الجلد والسقط إذا ما جارته وباعت السوارين، لكنها أيضاً كانت لا ترغب فى كسر خاطره، وإشعاره بأنها تخلت عنه وقت احتياجه إليها، بدت كالمرزعة بين نارين، لكنها فى النهاية قالت لروحها قليكن ما يكون، وسلمت أمرها إلى الله، وقبل أن تجيبه زفرت بحرارة وطرقعت أصابعها فى قلب ثم قالت:

- طيب يا سيدى، الأمر أمرك والشور شورك، لكن وحياة العيال ومعرّتى عندك، فكّر وتأنّ قبل أية خطوة؛ لأن الزمن صعب، والدنيا غلاء، والفلوس عمّاله تلير وكأنها عصافير.



أعلنت سامية غضبها الشديد، ودفعت بكرسيها بعيداً عن المائدة، وقالت دون أن تكمل مضغ اللقمة التي في فمها:

. إياك يا ماما تبغى الأساور. لو فكّرت في بيعهم في أى وقت حطّى الفلوس في البنك. فكّرت في الخسارة لأنك لن تُحصلى من بيعهم لا أبيض ولا أسود وأنا حذّرتك والسلام. غلى الدم في عروق الأب من فرط غيظه وغضبه من تلك الوقاحة الساخرة التي تكلمت بها ابنته. فكّر أن يهبّ من كرسيه ويلطمها على صدغها، وأن يقلب المائدة كلها على رأسها حتى تتسريل بالملوخية تماماً ولا تعرف مطرح رأسها من رجليها، لكنه وكما يفعل عادة في مثل هذه المواقف، ضبط نفسه، وانسحب بهدوء إلى الداخل معلناً عن رغبته في النوم.

نفس ونام وحلم أثناء نومه بالأرانب ويسامية تربت عليه وتعلن أسفها واعتذارها عما بدر منها تجاهه، وتهديه سلسلة مفاتيح فضية يتدلى منها أرنب ظريف، ويمديره في الوزارة وقد تحوّل إلى أرنب صغير قام بحمله في حقيبة الأرانب إياها؛ ليسلمه إلى الفراجى ليذبحه ويسلخه... أرانب كبيرة على الطريق ذات أذناء ضخمة تبتسم وتتمايل في دلال، وأسامة يحاول الهجوم عليها واحتضانها لكنها تزوغ منه بسرعة... نشرة الأخبار في التلفزيون وهو يتابعها، فيكتشف أن القوات الدولية في سراييفو كلها عبارة عن أرانب صغيرة ترتدى الأزرق التقليدي للأمم المتحدة وتعتمر قبعات سماوية جميلة... حياة تتحول إلى أرنب ذهبى ضخّم وتقول له بنعمومة: الأمر أمرك يا أسامة، لكن فكّر والنبي واحسبها قبل عمل أية خطوة.

هبّ أسامة من نومه قلقاً تقلّب في الفراش، فوجد حياة ممددة على جنبها إلى جواره، مقيّلة هي الأخرى، أحاطها بذراعه والتصق

بها فى حميمية أدهشتها، فاستدارت ليكتشف أنها لم تتم بعد فقال لها:

. الثوم فى تقليية الملوخية كان زيادة بعض الشئ. أصلى حلمت مجموعة أحلام غريبة ملخبطة، ما لها أول من آخر. ردّت حياة وهى تتثائب وتخلص نفسها منه بلطف: - خير.. اللهم اجعله خيراً، كنت غطّ نفسك بغطاء خفيف قبل النوم.

ثم طلبت منه إعداد شاي العصارى، وأن يناديها لتشرية معه عندما يجهز؛ حتى تتعس قليلاً لأنها لم تتم بعد.

بدا كل شيء غير عادى فى حياة أسامة صباح ذلك اليوم المشئوم، فقد وصل الوزارة متخلفاً بضع دقائق عن موعد العمل الرسمى؛ بسبب تأخره فى النوم حتى قرب الفجر، بعد سهرة طويلة أمضاها بصحبة أسرته فى عرس فتحية بنت الجيران. كان قد ارتدى ملابسه على عجل، وترك امرأته غارقة فى النوم دون أن يوقظها لتعد له طعام الإفطار كما جرت العادة، كما أنه لم يقم بطقسه الصباحى الدائم المتمثل فى إلقاء نظرة سريعة على الأرناب فى القفص. وأثناء وقوفه على محطة الأتوبيس تذكر أنه نسى ساعة يده التى يحرص على ألا ينساها، ورأى فى شرفة المنزل المقابل للمحطة غسيلاً منشوراً أسود اللون يغطى الحبال كلها؛ فانتقبض قلبه وتطير، وزاد فى ضيقه مرور ذلك الشحاذ المجدوم بأطرافه المتأكلة وأنفه المشوه فشعر بتقزز واقتشعر بدنه، وهو يحاول تفادى النظر إلى الرجل المسكين الذى أجهز على بقية مزاجه المتعكر فى ذلك الصباح. عندما انكب على عمله فى الوزارة، ليدون فى سجل المواليد إنتاج مدينته بأحيائها المختلفة من الأطفال خلال أسبوع منصرم، ترايد اكتسابه وضيقه؛ إذ بدا له حجم العمل المطلوب منه كبيراً إلى درجة لا

تحتمل، وتحتاج موظفاً إضافياً يشاركه فيه. لكن في سره دفتر المواليد، والمواليد، والناس التي لا تكف عن تقريخها، وهيئة تنظيم الأسرة؛ لأنها لا تلعب دوراً فعالاً في تحديد النسل، وتكتفى بإرسال تحياتها إلى الجمهور في إعلانات التلفزيون، ثم واصل عمله بضيق وتكاسل ولا مبالاة شديدة.

في حوالي الساعة الثانية عشرة والربع، رن جرس الهاتف الموضوع على مكتب رئيس القسم، بينما كان عبد الحميد الساعى يقبّل له كوباً من الشاي الكشرى بمعلقة قديمة صدئة. في هذه الأثناء، كانت سيّدة عبد العال زميلة أسامة في القسم نفسه ترصّ قطع الخيار والطماطم فوق الجبن الرومي داخل رغيف الفينو؛ استعداداً لالتهام وجبتها اليومية المعتادة في الشغل، بينما الرئيس القائد يطلّ بنظراته على الجميع بترفع من صورته المعلقة على الجائط داخل إطار ذهبي كبير.

سعيد بدوي شاعر العاميّة، وماسك سجلّ الوفيات بالإدارة، يحلّ الكلمات المتقاطعة ويفكر في اسم لحيوان داجن يتكون من أربعة حروف؛ ليتمكّن من الإجهاز على جميع الكلمات المتقاطعة بكل الصبغ الحكومي وغير الحكومية الصادرة خلال ذلك النهار، ممارساً بذلك أسلوبه المزمّن في التعبير عن لامبالاته واستخفافه بالوزارة وطبيعة العمل والعاملين فيها.

حمل رئيس القسم سماعة الهاتف وردّ، دون أن يرمش له حقن، أو أن يكلف نفسه رفع رأسه عن كتاب عذاب القبر ونعيمه الذي كان يقرأ فيه. وضع السماعة على المكتب ببرود ونادى:  
أسامة.

هَبَّ أسامة من مكانه كالأرنب المذعور، فمن النادر أن يتلقَّى مكالمات هاتفية أثناء عمله في الوزارة، وخلال الخطوتين اللتين خطفهما بسرعة ليكون حيث مكان الهاتف، تلاعبت به الظنون: هل أصيبت واحدة من البنيتين بمكروه؟ هل وقعت العمارة وانهدت على حياة ومن فيها من السكان؟ هل أصيب ابن عمه في حادث سيارة بالطريق؟

وضع السماعة على أذنه بيد متوترة ثم ردَّ بعد قليل:

- يا خير.. مستحيل.. مستحيل يا حياة!

أعاد السماعة إلى مكانها بتوتر، وبصعوبة حملته قدماء إلى مكتبه؛ لينكفئ برأسه على دفتر الموالييد ويبكى بحرقة أذهلت سيِّدة عبد العال فلخبطت نظام الخيار والطماطم على الجبن الرومي، تاركةً الرغبة على ورقة الجريدة التي كان ملفوفاً بها على المكتب، لتدبَّ على صدرها وقد ظنَّت أن واحدة من ابنتي أسامة توفاهما الله. أما المتلذذ بعذاب القبر، ومتولى الكلمات المتقاطعة، وعبد الحميد الساعى فقد سارعوا بالالتفاف حول أسامة في دهشة عارمة محاولين استنطاقه بقولهم:

- لا إله إلا الله، حصل شيء لا سمح الله؟ تكلم يا أسامة، انطلق

يا رجل! ظل أسامة لفترة ينهذه ويغمغم بصعوبة:

- بيتي اتخرب، بيتي اتخرب يا عالم.

وعلى صوت ذلك الشعار الذي أطلقه، تجمع موظفو الأقسام المجاورة. الأرشييف، الصادر والوارد، الميزانية، بعد أن جاءوا من غرفهم ليستطلعوا الحدث المثير. فجأة، كفَّ أسامة عن البكاء، ورفع رأسه ثم أغلق سجلَّ الموالييد الذي شرَّت دموعه عليه، ووضعته في

درج مكتبه ثم أغلقه بالمفتاح. هباً واقفاً وهو يكفكف دموعه بمنديل وورقى ناوله إيّاه شاعر العامية وقال:

. شكراً.. سعيكم مشكور يا جماعة.. بعد إذنكم.

ثم انطلق خارج المصلحة دون أن يحصل على إذن من رئيسه أو مديره.

لم يكن يرى أمامه إلا السواد، ولا يسمع غير رنين كلمات حياة فى أذنيه وهى تقول له: "الحقنى يا أسامة، الأرناب ماتت، ماتت كلها". وما حكته له بعد ذلك بسرعة لتخبره بشكل موجز كيف أن الأرناب قُتِلَتْ فى مذبحة وحشية قامت بها عِرْسَة سَفَّاحَة أثناء تواجدهم فى عرس فتحية بنت الجيران؛ فقد تسلت العرسة عبر باب القفص، الذى نسيته مفتوحاً بعدما انتهت من إطعام الأرناب وقت صلاة العشاء، لتمدص فى هدوء الليل دم أحد عشر أرناباً، بينما كان جميع من فى البيت نائمين.

أما المواليد التى بلغ تعدادها خمسة عشر أرناباً فى القفص، فقد تَكَوَّمت كَتَلٌ صَفِيرٌ من اللحم الأحمر الدامى، بعد أن واصلت الدراكولا نشاطها متسللةً من الرف السفلى إلى الرف العلوى. "كلهم ماتوا"... هذا ما قالته حياة. "ماتوا يا أسامة، دخلت أحط لهم البرسيم عند الصبح، وجدتهم مرميين"... "الحقنى يا أسامة".

لحق شاعر العامية بأسامة عند الدرجة الأخيرة من السلم؛ بصفته مبعوثاً من رئيس القسم الذى لم يقف تماماً على حقيقة الأمر؛ ليتحرى ما جرى ويقف إلى جانب المصدوم فى مصيبتة، لكن أسامة رجاء أن يعود أدراجه ويتركه لحاله؛ بعد أن ابتدع كذبة صغيرة كمبرر لما جرى؛ إذ أعلن للشاعر - الذى أعلن بدوره بعد ذلك

لجميع المتسائلين فى الوزارة - أن فائن رسبت للمرة الثالثة فى الكلية بسبب الكيمياء الحيوية.

واسى الشاعر أسامة وتركه، وراح يفكر مندهشاً من سخافة أسامة وقلة عقله "فلترسب البنت، فما معنى التعليم وما قيمته فى بلد كهذا البلد؟ وما قيمة الكيمياء الحيوية فيها أصلاً؟. فالبنت سواء رسبت، أو نجحت بامتيان، فإنها لن تجد عملاً إلا عند محل كوافير أو كسكرتيرة أو كبائعة فى محل، مثلها فى ذلك مثل الآلاف من خريجي الجامعات. لن تضل شيئاً بهذه الكيمياء ولا بغيرها، فالبلد لم يعد محتاجاً إلى علم أو كيمياء. لماذا يتجاهل الناس هذه الحقيقة ويدفنون رؤوسهم فى الرمال كما النعام؟. ولماذا لا يتخذ أسامة آية وعبرة؟. فهو متخرج من كلية الهندسة، وحاصل على دبلومة عليا فى القوى الكهربائية، ومع ذلك يعمل فى قسم الإحصاء مع أسامة، ولولا نفوذ زوج عمته فى الوزارة وتوسطه بعد تخرجه لتعيينه فيها، لكان الآن على قارعة الطريق يتسكع أو يتسول ككثير من خريجي الجامعات فى هذا الزمان.

سار أسامة كالمخمور يتخبط فى الشارع، لا يعي من أمره شيئاً، ولا يعرف إلى أين يتجه فى هذه اللحظات السوداء، التى مرت عليه وكأنها دهر.

فى البداية أخذته قدماء إلى طريقه المعتاد نحو محطة الأنوبيس، وقف ينتظر قليلاً، بدت الدنيا فى نظره أضيق من خرم إبره، ومظلمة بلا أى معنى، بعد فترة وجد نفسه يترك المحطة، ويسير كالقطة الضالة فى الشوارع.

كانت أحداث الأسبوع السابق تتلاحق فى رأسه بسرعة

مذهلة... حياة باعت أساورها وأبدت حماساً مفاجئاً لشراء الأرض والتوسع في مشروع الأرناب. ذات مساء فاجأته بأفكارها الجهنمية هي الأخرى؛ إذ صنعت قبيعات نسائية من فراء الأرناب قالت إنها ستلاقي إقبالاً منقطع النظير من المحجبات خلال فصل الشتاء القادم؛ لأنها أنيقة وتدهن الرأس، وأرته أيضاً علب مناديل ورقية مغطاة بفراء الأرناب صنعتها بنفسها وزينتها بالترتر وخَرَجَ النجف بعد أن رشَّتْها بالوان رشٍّ متعددة لتضفي عليها بهجة وأناقة، وأخبرته أنها قامت بجولة على أصحاب المحلات لبيعها وهي في انتظار طلبيات منهم... رحلة البحث عن قطعة أرض بثمن يتلاءم والمبلغ الذي جمعه لم تقطع، لكن دون جدوى، فالمبلغ المتحصل من بيع ذهب حياة، بالإضافة إلى مدخراته لا يكفي... فأتت تعلن احتجاجها لعدم حصولها على فلوس الدرس الخصوصي، وتهدد بترك الكلية نهائياً... حياة تكتشف بالصدفة خطابات غرامية تخفيها سامية وراء قفص الأرناب تعرف منها وجود علاقة بينها وبين رجل يكبرها بستة عشر عاماً، وأنها تتوى الزواج منه، على رغم أنها مازالت في سنتها الأولى بالجامعة... ماسورة الصرف الصحي الرئيسية في العمارة تنفجر بسبب انتهاء عمرها الافتراضي. كما قال السبّاك. منذ عشرين سنة على الأقل، وصاحبة العمارة تطالب كل شقة بدفع مائتي جنيه لاتخاذ اللازم واستبدالها بماسورة جديدة، وإلا يبقى الوضع على ما هو عليه، وتختر الماسورة داخل الشقق، ومن لا يعجبه يضرب دماغه في الخيط.

ظل أسامة يهيم على وجهه، لا يعرف إلى أين يتجه، كان يدرك شيئاً واحداً فقط هو أنه لا يرغب في العودة إلى البيت، ولا يريد



الذهاب إلى العمل، لا يريد أن يتعامل مع أى مخلوق، لا حياة ولا النبات، ولا عبد الحميد الساعى، ولا شاعر العامية ولا أى إنسان آخر يعرفه. هو يريد فقط أن يموت ويستريح من الدنيا وقرضها فى التو واللحظة، فكّر أن يرمى نفسه تحت أتوبيس أو قطار، أن يذهب إلى شاطئ النيل ويقفز إلى الماء، أو أن يبتاع سمّاً للفئران من أقرب صيدلية تقابله ويتجرّعه بسرعة، لكن الشجاعة لم تواته لتففيذ أى من هذه المشروعات العدمية، كما أن نفسه صعبت عليه جداً فاكتفى بالبكاء المرّ أثناء سيره.

بعده انتهاء المكالمة التليفونية العاجلة مع أسامة، ظلت حياة تنتظره فى البيت حتى الساعة الثالثة ظهراً، وهو الموعد المحدد لدوران مفتاحه فى قفل الباب، فلما لم يأت وهو الذى كانت تتوقع حضوره من فور سماعه بكارثة الأرناب أخذ القلق يساورها، وعند وصول فاتن وسامية من الجامعة قبل المغرب، كانت الأفكار السوداء قد التهمت أعصابها وجعلتها نصف مجنونة؛ إذ كانت تفكر فى احتمال أن تكون سيطرة قد صدمت زوجها، أو أن الأتوبيس الذى استقله غرق فى النيل، أو ربما داس على سلك كهربائى مكشوف فصعقه كما حدث لبعض الناس، أو أنه مرّ بجوار منزل قديم آيل للسقوط فانهار فوق رأسه. مرت بخاطرها احتمالات شرّ عديدة قد تكون وراء غياب الرجل الذى يأتى فى مواعده دائماً. اتصلت بابن عمه هاتفياً؛ ظناً منها أنه ربما يكون مرّ عليه فى البيت، لكنها لم تجده، وبينما كان مؤذّن المغرب فى الجامع القريب ينادى: "حّى على الفلاح" بصوته الخشن الأجش، أعلنت حياة لبنيتها وهى تلطم خديها أن أباهما صار فى عداد المفقودين.

تضاءلت مصيبة الأرناب في عين حياة، بالنظر إلى الطامة الكبرى التي تواجهها في هذه اللحظات، وبدت مشكلة علاقة سامية بالرجل الكبير ومشكلة ماسورة المياه من الصفائر بالنسبة إليها. ارتدت فستان الطوارئ الكحلى على عجل، وهو الفستان الذي تحتفظ به خصيصاً ليلائم مناسبات العزاء في المآتم، وزيارات المرضى، والمباركة بالنجاح، وعمل الواجب مع الأقارب والأصحاب في الأفراح، ثم إنها اصطحبت البنيتين في رحلة بحث عن الرجل المفقود. توجهت حياة لأقسام البوليس، واستقبالات الطوارئ بالمستشفيات العامة، وسألت كل المعارف والأقارب، وحتى نهاية الليل لم تكن هناك نتيجة مجدية من البحث، الذى انضم إلى فريق القائمين به ابن عم أسامة بعد انتهاء عمله كموظف خزينة في أحد الملاهى الليلية.

أعلنت حياة أنها ستتحرر... ستموت روحها... ستشعل النار في جسدها إذا لم يعد أسامة. تمنّت أن يعود إليها بأى شكل، وبأية حال، حتى لو عاد أعمى، أو مشلولاً، أو مجروحاً، أو مصاباً بعاهة لو كان قد تعرض لحادث ما، المهم أن يبقى على قيد الحياة.

مضى أسبوع كامل، وأسامة مختلف كأنه فصّ ملح وذاب. استدعى البوليس حياة والبنيتين وزملاءه في وزارة الصحة لاستجوابهم، فمن المحتمل أن يكون سبب غيابه جنائياً، ولكن كل الأطراف المستجوبة أفادت أن أسامة كان شخصاً مهذباً مسالماً، في حاله دائماً، لم يناقش أو يجادل في أى أمر من الأمور، وهو - وفقاً لأقوال مديره العام الأستاذ فهمى عبد العال - "مطيع جداً، وينفذ ما يُطلب منه بهدوء، وبدون مشاكل، وكان آخر من يقف في طابور الجمعية التعاونية للعاملين في الوزارة ليصرف مستحقّاته من السكر

والزيت واللحم، ولم يكن يشاحن أو يصارع كما يفعل العديد من الموظفين الآخرين؛ لكى يحصلوا على حصصهم من لوازم البيت قبل غيرهم".

أعلنت حياة حالة الحزن العام في البيت فامتعت عن مشاهدة مسلسل السابعة والربع في التلفزيون، وهو المسلسل الذي تحرص على مشاهدته بانتظام ودأب مهما كانت الظروف، حتى في الوقت الذي كانت البنتان تذاكران فيه؛ استعداداً لامتحانات آخر السنة الدراسية. كما أنها قننت طعامها؛ فلم تعد تقطر، بل صارت تكتفى بأكل لقمة صغيرة مع الشاي بعد الظهر بعد إلحاح من فاتن وسامية، أما الفاكهة فلم تدخلها البيت منذ غاب أسامة، بالإضافة إلى أنها لم تلب دعوة صاحبة لها تسكن الشارع نفسه لحضور حفلة زار على رغم ولعها الشديد بحفلات الزار وتمنيها أن تساعد ظروفها المالية ذات يوم لتقيمها في البيت.

ذات صباح، وبعد مرور أسبوع كامل على غياب أسامة، كانت حياة تجلس على الأرض قبالة شيخ عجوز يفتح المندل، ويتمتم بتعويذات غير مفهومة بحثاً عن الرجل المفقود، ولتعيين موقعه في المدينة، وقد تحلقت حولها فاتن وسامية وأم فتحيّة التي كانت قد جاءت بالعجوز؛ باعتباره خبير مندل مختصاً كمساهمة منها في حلّ لغز الزوج الضائع منذ أسبوع. رن جرس الباب، قامت فاتن لترى من يكون الرنان، وهي تنهر سامية، وتطالبها بالسكوت بعد أن ضاقت بتعليقاتها الساخرة المتهكمة على فاتح المندل، الذي أبدى استياءه أيضاً وأعلن عدم قدرته على التركيز؛ إذا ما استمرت البنت في تعليقاتها، وما إن تبادلت فاتحة الباب بضع كلمات مع القادم ذي

الجلباب الطويل والعمّة حتى أطلقت صرخةً رهيبَةً، سقطت على إثرها مغشياً عليها، بينما هبّت حياة وسامية والجارة وفاتح المندل إليها عند الباب. أصيب الرجل القادم بالارتباك بعد أن تجمع الجيران حوله أيضاً؛ إثر سماعهم صرخة فاتن، بدا فاتح المندل هو الوحيد المتماسك بين الجميع فسارع بسؤال الرجل المُعمّم عن هويته فأفاد:

«أنا تربي حوش رستم الليثي، وأظن أن بيت الأستاذ أسامة ابنه هنا.»

من فور سماعها كلماته، تركت حياة ابنتها الغائبة عن الوعي، والتي سارع الجميع لمساعدتها، فقرّبوا بَصَلَةً من أنفها، ورشوا على وجهها ماءً بارداً، ودلّكوا كفيها وجبهتها بكونونيا الليمون المتواضعة ماركة «الثلاث خمسات» التي كان أسامة يحتفظ بها لاستخدامها بعد حلاقة ذقنه عادةً. أمسكت حياة الرجل من كتفيه في محاولة منها لاستنطاقه بأسرع ما يمكن، فنطق أخيراً وأعلن عثوره على أسامة في آخر الليلة الماضية بالصدفة وأثناء مروره بالترب. وأنه لم يتعرف عليه في البداية وظنه لصاً ينوى سرقة مقبرة أو لمّ عظام الميتين ليبيعهما لطلبة الطب، خصوصاً أن شكله كان متسخاً وذقنه طويلة، والظلام يغطى الترب، لكنه بدأ يشك في الأمر عندما اكتشف أن الرجل يكي ويجلس في حالة إعياء تام، كما أنه لم يُبدِ أيّة مقاومة تُذكر عندما هجم عليه وأمسكه من الخلف لاوياً ذراعه كي لا يفر، ثم أضاف إنه سأله عدة مرات عمّن يكون؟، ولماذا هو في هذا المكان في هذه الحصة المتأخرة من الليل؟، فلمّا لم يردّ، ظنّ أنه شَمَام من شَمَامِي بوردرة المخدّرات، أو أحد زبائن أوكار حقن

الماكسفورت وقد أخذ كمية كبيرة أفقدته الوعي. أخيراً أنهى التريى تقريره للمتعلقين حوله قائلاً: «فلما شعرت أن الرجل حالته خطيرة وربما يموت» وهنا لطمت حياة ودبت على صدرها. «قمت بالتفتيش فى جيبه وجدت بطاقة الشخصىة فأخذتها وجريت لأبصّ فيها تحت عمود النور، فعرفت الاسم وتأكدت من الصورة، ثم إنى ناديت على ابنى، فحضر وحملناه إلى البيت، وهو موجود طرفنا، وبخير إن شاء الله، لكنه يهذى بكلام غير مفهوم ويقول إن أمه نادته فحضر إليها بسرعة، وطلب منى أن أدفنه معها، ثم إنه يبكى أحياناً ويقول: نعم، حالاً.. حالاً أكون عندك يا ماما».

على ضوء هذه الأحداث المؤسفة، وفى الحال، تحرك وفد مكون من حياة والبنيتين، وأم فتحية وأبيها، بصحبة التريى لاسترجاع أسامة من مكانه فى القرافة، لكن سامية اضطرت إلى الانسحاب؛ بسبب فشلهم فى العثور على سيارة أجرة تكفى لخمسة ركاب، على رغم أن التريى يسّر الأمر عليهم وقرر ركوب الأتوبيس.

ظل أسامة بعد عودته إلى البيت، يحدّق بذهول فى الباكيات الناثحات أمامه، ويهذى بكلمات غير مفهومة، ويبكى رافضاً الطعام والشراب. بدا فى عين حياة وكأنه ليس أسامة الذى عرفته وخبرته كما تعرف نفسها؛ فقد نقص وزنه كثيراً، وبات وجهه صغيراً مهصوصاً يشبه رغيماً من أرغفة مخابز الحكومة الآلية، وعلى رغم أنها كانت رافضة فكرة عرضه على طبيب نفسى كما اقترح ابن عمه؛ خشية الفضيحة، وأن يقال عنه إنه فقد عقله وجُن، فيضيع مستقبل البنيتين ولا تجدان من يقبل بالزواج منهما بعد ذلك، وعلى رغم أنها كانت تشك فى دوافع إلحاح ابن العم على ذلك إلا أنها

أذعنّت في النهاية، ووافقت على الفكرة؛ لأن حالة زوجها أخذت في التدهور أكثر فأكثر، إذ بات يصرخ ويقول إن هناك مؤامرة كبرى ضده يقف وراءها مديره فهمى عبد العال الذى كان يراقبه ويتجسس عليه، وإلا لماذا طلب منه أرنيين، وكيف عرف بمشروع الأرناب أصلاً، واتهم الأمم المتحدة بأنها كانت تسعى إلى إفلاسها وجعله على الحديدة، وأنها كانت وراء برنامج التلفزيون الذى أدى فى النهاية إلى بيع ذهب حياة، وقال إن فهمى عبد العال والأمم المتحدة تأمرا سوياً لإفشال مشروعه، وإن العرسة هى الأداة المنفذة للمؤامرة، أما حياة وهاتن وسامية، فقد اتهمهن - خصوصاً الأخيرة منهن - بأنهن لا يعرفن قيمته، ولا يتصورن المستقبل الذى كان ينتظرهن، والذى كان يرسمه لهن مع مشروع الأرناب.

وهكذا، جاء ابن العم بالطبيب النفسى الذى قام بتحويل أسامة فوراً إلى قسم الأمراض النفسية بمستشفى التأمين الصحى التابع للوزارة، وقد بات خبر ما جرى لأسامة معروفاً ومنتشراً ومتداولاً فى أوساط عديدة، على رغم محاولات حياة المستميتة للتكتم عليه؛ حفاظاً على سمعة زوجها وبيتها؛ وحرصاً على ابنتيها الشابتين.

ردود فعل محدودة النطاق حول ما جرى لأسامة من أحداث مؤسفة ووقوعه فى المرض إيّاه.

□ خبر فى صفحة الحوادث بجريدة حكومية محافظة عريقة؛ «تم العثور على موظف حكومى فى حالة إعياء وذبول بالغين، بمقابر الإمام الشافعى بعد تغيّبه عن بيته لمدة أسبوع، وقد تبين أن الموظف يُدعى أسامة رستم الليثى (٤٥ سنة)، وهو يعانى من ضائقة مالية مزمنة، وأفادت زوجته أنه اختفى إثر إبلاغها له هاتفياً فى عمله بوزارة الصحة عن مصرع كل الأرناب التى كان يربّيها فى قفص بمنزله. وقد انتهت التحريات إلى استبعاد الدافع الجنائى لتغيّبه، وعلى ضوء ذلك قام السيد مأمور القسم بتسليمه إلى ذويه».

ملاحظة: مع الخبر صورة منشورة للسيد رئيس القسم بثيابه الرسمية، ومكتوب تحتها اسمه مسبقاً برتبته الوظيفية. ملاحظة أخرى: لم يحدث أن قام رئيس القسم بتسليم أسامة إلى ذويه، بل قام الترى بذلك، ثم أبلغت حياة القسم بعثورها على زوجها المفقود.

□ تعليق بصحيفة معارضة معترف بها من قبل الحكومة فقط:

«مرة أخرى تثبت أكذوبة التمويل الخارجى، وسياسة الانفتاح الاقتصادى؛ فقد أصيب المواطن أسامة رستم الليثى وهو من العاملين فى وزارة الصحة بلوثة عقلية بعد فشله فى الحصول على تمويل خارجى من الأمم المتحدة، وقد قالت زوجته السيدة حياة خليفة لندوب جريدتها عندما ذهب للقاء أسرة المواطن فى منزله إنها تتوى رفع قضية على رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون مطالبة إياه بالتعويض عن الأضرار التى لحقت بها ويزوجها بعد أن وعد التلفزيون من خلال ندوة أذاعها بإمكانية تمويل مشروع الأرناب الذى كان زوجها قد أنشأه، وأنها باعت كل ما تملك لتصرف على هذا المشروع الذى كانت أسرتها تعقد عليه آمالاً عريضة. وأضافت السيّدّة حياة، إن زوجها اعترف لها أثناء مرضه بأنه حاول كثيراً، الاتصال باليوناتيد نيشينز، لكنه فشل، وأخبرها أنّه ذهب بنفسه أكثر من مرة إلى مقرّ الهيئة الدولية، بعد استماعه لندوة التلفزيون، وحاول مقابلة المسؤولين وإطلاعهم على تفاصيل مشروعه ليحصل على التمويل، لكنه كان دوماً يفشل فى مقابلة أى من هؤلاء المسؤولين، وأنه لم يقابل إلا عسكري الحراسة المصرى، الذى طالبه وهو يشهر السونكى فى وجهه بالابتعاد الفورى عن مقر الهيئة، وإلا قبض عليه للاشتباه فيه.

ونحن نسوق هذه الوقائع، لكل أولئك المتشدين بجدوى التمويل الخارجى لاقتصادنا القومى، ونسألك عن مدى جدية المؤسسات الأجنبية فى مساعدة هذا الاقتصاد على النهوض الحقيقى



ومواجهة احتياجات البلاد، ونستذكر أن تستمر عمليات التفجير والاستخفاف بكل البسطاء والشرفاء والمقهورين فى هذا الوطن العظيم».

ملاحظة: مُرفق بالموضوع صورة لحياة وهى تتحدث لندوب الجريدة الذى يتسم ابتسامة عريضة، وقد كتب تحت الصورة: السيدة حياة زوجة المواطن أسامة الليثى وهى تتحدث إلى الأستاذ عمر عبد الرازق مندوب جريدتنا وتقول: خدعونا وخدعوا زوجى الطيب، ثم ينطأ أكبر: تصوير نصر الطنطاوى.

□ الهيئة الدولية تلتزم الصمت:

«رفض المتحدث الرسمى للأمم المتحدة التعليق على ما ورد فى جريدة رسمية معارضة من اتهام بخصوص رفض الهيئة لتمويل مشروع صغير لأحد المواطنين بمدينة القاهرة، وقال المتحدث إن الهيئة لا تتوانى عن تقديم العون لبلدان العالم الثالث من خلال هيئاتها النوعية المتخصصة، كما أنها لا تقوم بتمويل الأفراد بأية حال من الأحوال».

□ استجواب فى مجلس الشعب:

«أعلن النائب الشعبى حسن عطية لأبناء دائرته الانتخابية عن اعتمازه تقديم استجواب برلمانى فى مجلس الشعب بخصوص ما جرى لابن الدائرة أسامة رستم الليثى، وقال النائب أيضاً إنه يزمع فتح ملف المساعدات الأجنبية بالكامل، خلال الدورة المقبلة للمجلس؛ حتى تتضح الرؤية أمام أبناء الدائرة وكل المواطنين، وقد أفاد النائب فى النهاية، بأن مكتبه الاستشارى مفتوح لطالبنى

دراسات الجدوى الاقتصادية فى كل مجالات قطاع الأعمال، كما أن المكتب يقوم حالياً بإعداد كُتَيْبٍ إرشادى تفصيلى يتناول كل الهيئات الأجنبية التى يمكن أن تساهم فى تمويل المشروعات المحلية بالريف والحضر».

□ فى التلفزيون: أذن من طين وأخرى من عجين  
«تابع التلفزيون من خلال برامجه الاقتصادية ما بدأه من حلقات تتناول تنمية المشروعات الصغيرة، وقد أعلنت المذبة ربط الفقراء لأحبائها كل أفراد الأسرة، وهى تبتسم بدون سبب. أنهم سيسهرون الليلة، وفى ليالٍ أخرى مقبلة، مع نجوم الاقتصاد؛ ليردوا على كل ما يدور فى الأذهان بخصوص تمويل المشروعات الصغيرة، التى باتت تشغل كل بيت، وكل مواطن طموح فى بلدنا الآن».

□ قضية أسامة والتطبيع:  
«فى الجمعية الأهلية لرفض التطبيع مع العدو الصهيونى، فجرّ الفنان التشكيلى، الصحفى، والقصّ، الروائى، الشاعر، المترجم، الناقد، نبیه الشاطر مفاجأة فى موضوع أسامة الليثى؛ إذ أعلن أن لديه وثيقة تثبت محاولة العدو الصهيونى إجراء اتصالات مع المواطن المذكور لإقناعه بقبول تمويل لمشروع الأرناب، وصرّح الشاطر أن كل ذلك يأتى فى سياق محاولات العدو التى لا تنقطع، لاختراق المجتمع المصرى بعد تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد الشهيرة، وفرض التطبيع معه، وهو ما أثبتت الأيام فشله حتى الآن».

## ■ الجماعات تتحرك:

«قالت فاتن الابنة الكبرى لأسامة رستم الليثي، إن الجماعات الدينية اتصلت بأبيها مؤخراً، وعرضت عليه إدارة محل لبيع الفراخ والبط والأرانب يعود ريعه لصالحه؛ شريطة انضمامه لهذه الجماعات، لكن أباهما رفض الفكرة تماماً».

(نقلًا عن باب بورصة الأسرار بمجلة أسبوعية شهيرة)

## □ ندوة عشوائية في وزارة الصحة:

في الساعة الواحدة إلا ربعاً من يوم الثلاثاء التالي للعثور على أسامة، قام موظفو قسم الإحصاء في وزارة الصحة بمقعد ندوة عشوائية لتضييع الوقت، وقتل الملل اليومي المعتاد، كان موضوعها: أسامة المسكين وما جرى له في ظرف يومين. تمت الندوة ككل ندوات الموظفين في وزارة الصحة والوزارات الحكومية الأخرى، بدون برمجة ولا تخطيط، ووفقاً لمنهج «كلام يجيب كلاماً»، وقد افتتحتها زميلة أسامة في القسم، سيدة عبد العال، بينما كانت ترتب وضع الخيار والطماطم فوق الجبن الرومي برغيف الفينو تمهيداً لالتهامه كالعادة، فقالت: والنبي مرض الأستاذ أسامة قطع في الواحد جداً، ربنا يشفيه ويعين أهله ويلطف بعياله. ووفقاً لترتيب المشاركين في الكلام بالندوة، جاءت وجهات نظرهم كالآتي:

● عبد الحميد الساعي، وهو يُقَلَّب الشاي الكشرى المخصوص

لرئيس القسم:

- والله الأستاذ أسامة إنسان أمير جداً، لكن عقله ولا مؤاخذه خفيف بعض الشيء، دائماً كان يقول لي: «لما البيزنز يمشى معي،

إن شاء الله، أعينك عندى يا عبد الحميد، وأريحك جداً، وأبسطها معك فى المرتب». وبصراحة أنا عمري ما شفته عمل بيزنيز، لذلك كنت أسايره وأجاره وأقول له: ربنا يخليك لعيالك يا أستاذ أسامة... مسكين والله.

● رئيس القسم ، وهو يطلب رقماً بالهاتف دون أن يرفع بصره عن الأوراق التى أمامه:

. مشكلة أسامة أنه من أصول كبيرة، وكل الناس أولاد الذوات حصل لهم خلل بعد تغيُّر الدنيا لما الزمن جار عليهم. أنا كنت ألاحظ أنه طالع فيها بعض الشيء، وعنده جنون عظمة وغير واقعى على الإطلاق ولا يفهم الدنيا ماشية بأية طريقة.

● شاعر العامية ، وهو يحل الكلمات المتقاطعة فى ثالث جريدة خلال اليوم:

. طبعاً لابد أن تحصل للرجل لوثة، وعقله يخف؛ لأنه إنسان مرهف، عاجز عن التكيف مع الناس، أى كائن عاقل لازم أن يجرى لمخه شيء؛ بسبب عيشتنا الزفت، الرجل حاول فى مشروع واثنين وثلاثة، عاقر مع الظروف، ثم فشل فى النهاية، فلا بد أن يصاب بصدمة؛ لأنه لا يقدر على السرقة واللصوصية ولا على الفهولة والبلطجة ولعب "الثلاث ورقات" كما بعض الناس فى أيامنا المنيلة إياها. الأسلاك ضربت والكمبيوتر فى دماغه تعطل، شيء طبيعى جداً أنه انهار.

قال ذلك وهو يتطلع فى وجه رئيس القسم الانتهازى، الذى يكرهه لأنه يجيد التملق للمدير، وإلى عبد الحميد الساعى، الذى كان يفرض إتاوات على الجمهور لإنهاء مصالحه وكانت تتراوح

بين الجنيه والخمسة جنيهات بعد أن يقول: «كل سنة وأنت طيب يا أستاذ». وقد اشترك المدير العام في الندوة بالصدفة؛ إذ دخل على مرؤوسيه أثناء الحوار ليبلغهم بالتعليمات الأمنية الجديدة التي تلقاها منذ فترة وجيزة، وتخص على ضرورة الخضوع لتفتيش الحقائق الشخصية في مكتب الأمن عند المجيء إلى العمل صباحاً، وعدم السماح للجمهور بترك أية متعلقات على المكاتب أثناء إنجاز مصالحه في الوزارة، فجاء رأيهِ كما يلي:

- أسامة طيّب ومسكين، وإن كان ينجز عمله في بطنه، وواضح أن ظروفه العائلية صعبة وصحته على قدره، أما موضوع الأرناب فأنا عرفته بالصدفة، ربنا ألهمني أن أسأل عبد الحميد لما شفتة ومعه الكيس الكاكي، ولما كلمت أسامة، أنكر حكاية مشروع الأرناب، فجاريته ولم أخرج له وأقول له إنى فاهم إن المشروع مشروع، وقلت أشتري منه أرنبين وأنفعه، ثم إن المرض النفسى مسألة من المحتمل أن تكون كامنة عند الإنسان من الطفولة وتظهر فجأة في الكبر. لكن بصراحة يا جماعة، أنا كنت لاحظ أن إيمانه ضعيف، وعمره ما ركع في جامع المصلحة، ولا ترك الشغل من يده لما يسمع: الله أكبر، الإيمان يا أولاد... الإيمان يعصم الإنسان من التعب والمرض؛ لأن الإنسان لما يعرف ربّه يرتاح وروحه تطمئن.

عقب الجميع بهمهمة وتمتمة، وهزّوا الرؤوس إيجاباً، ما عدا شاعر العامية الذى تنهّد وزفر دون أن يرفع رأسه عن الجريدة، وإن كان نحاها بعد قليل؛ حتى لا يُتهم بعدم احترام المدير، ثم إنه انتهر لحظة خاطفة، وفي غفلة من الجميع المنشغلين بالمدير، رسم

بشفتيه تعبيراً استككارياً هازئاً (ضمَّهما سوياً وحركهما بسرعة  
يميناً ويساراً عدة مرات). وكان الشاعر قد صرح أكثر من مرة  
لأسامة قبل مرضه أن المدير هو ثور الله في برسيمه، ويعيش  
بعقلية القرون الوسطى.

□ ندوة الجيران في بيت أم فتحية:

وهي ندوة جرت بمحض الصدفة، وقت أن جاءت صاحبة العمارة  
إلى شقة أم فتحية لتحصيل فلوس ماسورة المجارى، وطلبت من  
فتحية لمّ الفلوس من بقية سكان الشقق؛ لأن رجلها اليمين واردة  
وعمالة تتقح عليها بسبب أكلة الفسيخ التي التهمتھا في الظهر،  
فلما ذهبت فتحية إلى الجيران، جاء بعضهم لمناقشة صاحبة  
العمارة وجهاً لوجه في قيمة المبلغ المطلوب للماسورة؛ في محاولة  
منهم لتخفيضه، لكن صاحبة العمارة واجهتهم بدورها، وأفحمتهم  
تماماً عندما أبرزت فاتورة ثمن الماسورة، ثم أعلنت أمام الجميع،  
تتازلها عن حصّة شقة أسامة من الفلوس؛ نظراً إلى الظروف  
الأخيرة التي ألمّت بصاحب الشقة، وهنا افتتحت الندوة فقالت:

- والنبي صعبت علىّ حياة، المسكينة أصبحت تلقّ في الجلابية من  
قلّة الأكل، الدنيا غدرت بها، على رغم أنها شقيانة وعمالة تجتهد  
لأجل بيتها وعيالها. آخر مرة شفتها، عرضت علىّ طاقيّة من  
جلد الأرناب، واشتريتها من باب التفتيح.

● أما نظرية صاحبة العمارة فكانت:

- يظهر أن الرجل معمول له عمل. قبل شهرين كان قط أسود  
غطيس على دؤاسة باب شقتهم، شفته فتعوذت بالله من الشيطان  
وناديتّه: بس بس بس بس؛ لأجل أن يفزّ ويقوم، لكن ابن الذين

بصّ لى بلؤم وكوّر جسمه ولبد فى مطرحة ولم يتحلل من مكانه  
أبدأ، فقلت لروحي: بخاطرہ اتركه يا بنت على كيفه. وبعدها  
مشيت خطواتين فى طرقة السلم، فشعرت بشيء غريب تحت  
رجلى، ميلت لأشوفه، فوجدته لفّة صغيرة من جلد أرنب أسود فى  
أبيض فتحتها بسرعة، فشفت ورقة مرسومة بالطلسمات  
والعكوسات وبأشكال حيوانات غريبة وأرانب فرحت طالعة شقتى  
بسرعة وحرقت العمل، وحملت كيس ملح رشيدى خشن، ونزلت  
أرشد السلم من أوله إلى آخره، سلمة سلمة، ولما حضر الشيخ  
سعيد المقرئ ساعة العصر طلبت منه أن يقول سورة «قل أعوذ  
بربّ الفلق» وحكى له الحكاية، فنصحنى أن أطلق البخور كل  
جمعة فى مدخل العمارة.

#### ● تعقيب وإفتاء فتحية:

فعلاً يا طنط. أنا يومها كنت خارجة الصبح للكلية، وشعرت  
بقرش الملح تحت رجلى، وقلت يمكن إن الملح وقع على الأرض من  
واحد طالع على السلم وأخذته الناس فى الرجلين، وهى طالعة  
ونازلة، لكن بصراحة عم أسامة معذور، وأعصابه لايد يجرى لها  
منتهى التعب؛ لأن "فاتن" و"سامية" فى غاية التكبر، خصوصاً  
سامية متطلباتها بلا حصر، ومناخيرها فى السماء، وطموحها  
فوق مقدرة أهلها.

#### ● أرملة البواب أم حسن فى خطاب صغير مفتوح لجميع

الحاضرين:

يعنى كل الجراير تمت من تحت راس العرسة، لو إن الأرانب ما  
كان جرى لها ما جرى، ما وقع الأستاذ أسامة وقعة المرض

الصعبة يا جماعة. وبصراحة الحكومة تاركة العرس تسرح فى كل ناحية من البلد، ولا جنس مخلوق قادر أن يقول لها بس. طيب لو كانت الحكومة تلمّ العرس والكلاب السارحة فى الشوارع والنازلة أذى فى الناس، كانت الحكاية ما حصلت من الأصل. البلد فوضى، والكلاب عمّالة ترمح وتعضّ فى الخلق. ابن عباس الساعاتى عضّه كلب من يومين قدّام دكانه واضطر أن يروح المستشفى ويحقنوه بحقن الكلب. والله الفوضى والعرس هما السبب فى كل المتاعب.

□ ندوة أصحاب الشأن:

وهى الندوة التى تخللتها دموع وحسرات، وتهدات وزفريات ومرارات وإحباطات وتشاؤم، ثم أمل ورجاء، وقد جرت قبل خروج أسامة من المستشفى بيوم واحد.

. والنبي يا ماما كفاية حزن. امسكى نفسك، كلنا يلزمنا التعاون والتماسك، والدموع لا يمكن أن تعود علينا بأية نتيجة. لكن بصراحة يا ماما، أنت يلزمك الحزم مع بابا، لازم تبطللى تساييره وتوافقيه على الكلام الفارغ والمشروعات العبيطة إيّاها، وكل شىء وقع بكرة ينصلح إن شاء الله.

(سامية لأمها).

. كفاية فلسفة ونظريات ومواعظ يا سامية، ماما معذورة بلا شك وحالة بابا تصعب على الكافر، لأنه قبل كل شىء إنسان طيب وحساس، وحرام أن يجرى له ما جرى، وأنت مسئولة يا سامية عن مرضه بشكل من الأشكال؛ لأنك صاحبة مشاكل، وتعليقاتك نازلة طالعة على كل كبيرة وصغيرة، وماسكة له هو وماما على الواحدة،



لدرجة إنه شعر وكأنه فى حالة حرب، والبيت كله خناقات عمّال على  
بطّال. أرجوك يا سامية لما يرجع بابا من المستشفى حاولى إن تكونى  
لطيفة وأن تتكلمى معه بهدوء وبدون انفعال وتوتر، وكفانا مجادلة فى  
كل كبيرة وصغيرة.

(فاتن لأختها).

. مستعدة.. أبيع هدومى... إنشا الله يا رب نقضيتها بدُقّة أو  
عيش وملح، ويرجع أسامة لطبيعته... مستعدة.. أفرش له رموشى  
ليمشى عليها، مستعدة... أعمل له خدّى كما المداس، وهو يعود  
لصحته وعقله ووعيه. يا رب إنت عالم بحالى.

(حياة).

. أهمّ شىء يا جماعة هو تهيئة الجو المناسب له؛ لأن العلاج  
بجلّسات الكهرباء مُتعب جداً، ومن المحتمل أن ينسى بعض الأشياء.  
مسألة عادية تماماً. الجو الأسرى السعيد أهمّ شىء بالنسبة لحالته،  
المرح والابتسام والبعد عن النكد والمشاكل مسألة شديدة الأهمية،  
خصوصاً منك يا سامية، وربنا الشافى.

(ابن عم أسامة، وهو يستعد للذهاب لأن الليل ليّل).



بعد ستة شهور من عودة أسامة إلى البيت، بدأت الأمور تسير سيرها المعتاد، فقد استعاد توازنه النفسى شيئاً فشيئاً؛ بفضل الحقن المهدئة والمنومة والمؤثرة على التركيب الفسيولوجى لسوائل المخ، ثم إنه عاد يزاول عمله فى دفتر المواليد بالوزارة، والجديد هنا أنه صار يواظب على صلاة الظهر مع مديره العام فى الجامع العشوائى الذى يحتل وقت الصلاة مدخل الدور الأول فى الوزارة؛ حيث تفرش الحصر على الأرض، ويتعطل المرور فى هذه المنطقة من المبنى حوالى نصف ساعة يومياً يقضيها الجمهور فى حالة انتظار ريثما ينتهى الموظفون من أداء واجبهم الدينى.

ومن التطورات الأخرى التى طرأت على أسامة، أنه كفّ عن الحلم بالأثداء الكبيرة عابرة الطريق، وصار يفضّ الطرف عنها مع سبق الإصرار كلما برز بعضها أمام نظره بالصدفة، أما على المستوى الشكىلى فقد أطلق لحيته، وبالتالى باتت كولونيا الليمون "الثلاث خمسات" لا تستخدم إلا فى الأغراض الطبية، وخصوصاً فى تطهير موضع الحقنة الشهرية من جلد إليته، أما حياة فقد تحجبت وصارت تغطى شعرها بمنديل كبير، يسقط على كتفيها وصدرها ليقارب

ركبتها، على عكس فاتن التي جاء حجابها بسيطاً يتلخص في منديل متوسط من الشيفون الملون الزاهي، تعقده خلف رقبتها بعد لفه عليها من الأمام، ليبرز الشيء الوحيد الملفت وهو شعرها البستائي الغزير.

ولا حاجة بنا في هذا المقام أن نؤكد رفض سامية للحجاب، وهو الرفض الذي يعتبر طبيعياً بالنسبة إلى شخصيتها على رغم إلحاح أمها وفاتن عليها؛ لتفطى شعرها بأي شكل من الأشكال، حتى لو كان طاقيه كيروشييه بسيطة تصل حتى الأذنين فقط.

خلال هذه الفترة، جرت بعض الأحداث المهمة للأسرة، فقد رسبت فاتن للمرة الثالثة في الكيمياء الحيوية؛ فقررت ترك الجامعة نهائياً والاشتغال كمدرسة حضانة في مدرسة لفات قريبة من البيت، بمرتب متواضع جداً، لم يعوّضه إلا الهدايا شبه الإجبارية التي يقدمها الأطفال للمدرّسات في الأعياد المختلفة، بدءاً من عيد الأم، وحتى عيد القمح الذي جرى اختراعه أخيراً. وقد أصبحت حياة في ورطة حقيقية؛ إذ عرضت عليها صاحبة قديمة لها، تدبر محلاً للتجميل وتصفيف الشعر، أن ترافقها لتعمل معها في بلد نفطي؛ لقاء أجر مُفرٍ للغاية وبشروط إقامة ميسرة على أن يكون ذلك في محل تجميل متخصص على مستوى عال، وأن تكون مهمتها على وجه التحديد هي انتزاع الشعر من أجساد زبونات المحل، وعمل تدليك لهن بعد ذلك بالزيوت الطيارة والعطور والدهون. وقد أبلغت الكوافيرة حياة أنها ستقدمها لصاحبة العمل الخليجية كخبيرة في هذا المجال بالطرق البلدية المعروفة. بدا الراتب المعروض على حياة جذاباً جداً ويستحق التفكير في الأمر، لكنها كانت تخشى أن تترك

سامية وأسامة في مصر. تخاف أن تتكس حالة أسامة عندما يفترقها، وأن يأكلها القلق على ابنتها المتهورة الهوجاء. صحيح أن سامية أنهت علاقتها بالرجل المتزوج، لكنها لن تعمد بديلاً له خلال فترة زمنية وجيزة بعد ذلك.

ومن الأحداث السارة التي جرت للأسرة خلال تلك الأيام، أن حياة جاءت بمبيض فدهن الشقة، حيطان الشقة بالطلاء الزيتي، لون سن الفيل، وقد بدا هذا القرار في عيني سامية ثورياً جداً؛ لأن الشقة لم تلامس جدرانها فرشاة طلاء طيلة خمسة عشر عاماً مضت.

كما قامت حياة بخطوة مباركة أخرى؛ إذ طلبت من المنجد أن يشد كراسي طقم الصالون، بعد أن اشترت لها خصيصاً كسوة جديدة من السباتان المنقوش، بدلاً من القديمة التي تهرأت، وقد اضطرت حياة إلى هذه التجديدات بعدما اكتشفت أن علاج أسامة التهم الشطر الأعظم من متحصل بيع الأساور الذهبية، ورفعت شعار ضرورة ستر البيت، وجعل مظهره لائقاً، فمن المحتمل أن يرد بعض الخطأب لطلب الزواج من فاتن، وهو ما لم يحدث ولن يحدث إلا بعد ست سنوات تالية لزمان رفع الشعار؛ وربما بسبب نحول فاتن الشديد وتضخم أنفها، بالإضافة إلى صدرها المسوح الشبيه بصدر والدتها.

ذات مساء سعيد، وبعدما وزعت حياة قطع البسبوسة على أسرتها الصغيرة، بينما كان الجميع يتابعون مسلسل السابعة والربع في التلفزيون، قال لها أسامة وهو يزدرد ما ناب به بتلذذ:

عندي فكرة ظريفة نزيد بها دخلنا، نعمل حلويات ونوزعها على

البيوت، ونجعل أسعارها أرخص من أسعار الحلويات فى المحلات بالسوق.

توقفت حياة قليلاً عن تناول ما بيدها، نظرت إليه بشفقة، وكادت أن تقول له: كفانا مشروعات وأفكاراً فاشلة يا زوجى العزيز، لكنها تذكرت مرضه النفسى ونصائح الطبيب لها: «لا تناقشيه، لا تجادليه، تعاملى معه بحزم»، فنظرت إليه بحنان وردت:  
. والله فكرة يا أسامة.

استطرد قائلاً بحماس:

. نطلب نشر إعلان صغير فى إعلانات جريدة الأهرام المبتوية، سطر واحد مكتوب فيه «جميع أصناف الحلويات من البيت للبيت بأسعار مغرية»، مع رقم التليفون.

رنَّ الهاتف، رفع أسامة السماعة، فجاءه من الطرف الآخر صوت يقول:

. مساء الخير يا أستاذ أسامة، أعرفك بنفسى، أنا صاحب مشروع لعمل المخللات فى البيت، أخذت رقم تليفونك من الدليل العام، وأنا مستعد لتوصيل أية طلبات من المخللات إلى حضرتك فى البيت، علماً بأن عندنا أصنافاً ممتازة من مخللات الزيتون والليمون والخيار والجزر والبصل واللفت وحتى الفاصوليا. ممكن إن النوع الأخير جديد بالنسبة إليك؛ لأنه غير معروف فى مصر، لكن حاول أن تجربيه مرة ومستحيل إنك تتساه بعدها، وحسب الطلب، نعمل لك الخزين السنوى، لكن باتفاق سابق طبعاً. أسعار ممتازة، والتخليل يتم بأساليب علمية؛ لأنى مهندس زراعى ورقم تليفونى هو...

بدت الفكرة رائعة فى نظر أسامة، لا فكرة المخللات، ولكن فكرة

استخدام الهاتف كوسيلة للإعلان عن مشروع الحلويات المقبل، وهكذا ظل أسامة طوال ستة شهور، بعد الشهور الستة التي أعقبت خروجه من المستشفى، يكرّس وقته المسائي اعتباراً من الساعة السادسة حتى الساعة العاشرة ليلاً للاتصال بعملائه المتوقعين مُعلنًا عن مشروع الحلويات، وقد أسفرت اتصالاته خلال تلك الأشهر عما يلي:

● تعرض لشتائم عديدة متنوعة لم تخل من بذاءات ووقاحات. فلقد ظن البعض أنه رجل تافه يرغب في تضييع الوقت والتسلى بمضايقة الناس وإزعاجهم عملاً على بطلان.

● تعرّف على ناس كثيرين يعملون في مهن مختلفة، بعضها ذات مستوى رفيع، أبدى بعضهم استعدادهم لتشغيله في وظائف عندهم.

● بعد مكالمة قصيرة مع صاحب رقم عشوائى أبدى الرجل رغبته في مقابلته شخصياً في صباح اليوم التالى بكازينو النهر، على أن يرتدى قميصاً سماوياً وريطة عنق سوداء، ثم إنه تعرّف منه على أوصافه، وعندما ذهب أسامة، إلى الموعد المحدد، قابله ذلك الشخص بترحاب شديد، ودعاه إلى شرب البيرة، وفوجئ به يستجوبه على نحو دقيق بخصوص تاريخه الشخصى وحياته الأسرية، وعلاقاته الاجتماعية، ثم سأله عن جيرانه وابنتيه وصديقاتهما فى البيت والجامعة، وعندما بدأ يشعر بقلق أسامة، وتوتره، أعلن له بصراحة عن الهدف من المقابلة، فقال له إنه سيعيّنه كمحاسب فى واحد من سلسلة محلاته الشهيرة بالمدينة؛ مقابل راتب معقول، لكن عمله الحقيقى والذى سيقوم به فعلاً هو استلام حقيبة كل أسبوع من مكان محدّد وتسليمها فى مكان آخر بهدوء ودون أن

يلحظه أحد؛ شريطة ألا يسأل أبداً عن محتواها أولاً، وألا يخبر أى كائن كان عما يقوم به ثانياً، وأما ثالثاً، فعليه اعتبار عمله هذا التزاماً أبدياً، لا يحله منه إلا الموت.

كان الرجل يتحدث بصوت أجشٍ واثق، ولهجة تهديدية لم تغل من جبروت وعنف؛ مما جعل أسامة يرتعب، ويصبّ لنفسه دون أن يشعر كأساً من البيرة (كان قد رفض شرب البيرة فى بداية اللقاء نظراً إلى مواقفه الأخيرة). فى النهاية أبلغه الرجل دون أن ينتظر منه رداً أو استفساراً وهو يقوم فجأة استعداداً للذهاب، أنه فى حالة الموافقة على العمل المقترح والذى سينال منه خمسة آلاف جنيه؛ نظير كل نقلة للحقيبة، بالإضافة إلى المرتب، فإن عليه الاتصال برقم هاتف خاص غير مدون فى الدليل العام للهواتف أعطاه إياه. أما فى حالة رفضه فما عليه إلا أن يمزق الرقم وأن ينسى الموضوع نهائياً، بل أن ينسى أنه قابله أصلاً، وإلا فإنه سيندم نداماً لن يفيد بعد ذلك، ثم إن الرجل دفع حساب البيرة ومضى دون أن يكلف نفسه مدّ يده الضخمة ومصافحة أسامة. ظل أسامة بعد ذلك متسماً فى مكانه، يشعر وكأنه يحلم، كان قد أصابته درجة من السكر الخفيف بعد أن عبّ عبّاتٍ سريعة من كأسه، لكنها لم تمنع استيعابه لكل كلمة قالها الرجل ووعيه لما قاله فطلب من النادل أن يأتيه بفنجان من القهوة المُرّة الثقيلة حتى يتبّه تماماً، وعندما عاد النادل كانت الهواجس والظنون والوساوس قد التهمتته تماماً. فالمسألة واضحة كعين الشمس، الرجل يتاجر فى المخدرات عينى عينك، على رغم ثرائه الفاحش وامتلاكه سلسلة من المحلات لم يبيع لأسامة باسمها. فكّر: لماذا اختارك أنت بالذات يا أسامة؟ ترى أى نوع من



المخدرات، الهيروين، أم الأفيون أم الحشيش<sup>١٩</sup>. قم فكّر في المبلغ الساحر الذى عرضه عليك الرجل نظير النقل. شيء لا يُصدّق يمكن أن يُحدث في حياته نقلةً انقلابية خطيرة لا يمكن أن تحلم بها سامية أو فاتن أو حياة، لكن الرعب تملّكه في النهاية من الانفراس في عمل - مصيبة من هذا النوع، وفكر في الخروج فوراً من الكازينو وإبلاغ البوليس، لكنه اكتشف أنه يخاف من البوليس أيضاً، ويخاف الاقتراب من مبانیه، مثلما يخاف الرجل الأنيق جداً ذا المظهر الراقى الوقور، الذى كان يجلس قبالة منذ قليل. وفي الطريق إلى البيت، وهو يسير مجرّجاً رجله بعد أن سابقت مفاصله، مرّق رقم التليفون السرى وطوّحه في الهواء، وشعر بحسرة وإحباط يحطمان روحه ويهدّان كيانه.

● أصبح يحفظ عن ظهر قلب جميع الأرقام الأولى لهواتف مناطق القاهرة الكبرى كلها.

● تعرّض لمدة شهرين متواصلين، لمراقبة تليفونية من مباحث الآداب، التى ظنّت أن إعلانه عن البسبوسة، وأم على ولقمة القاضي، والشكلمة، ما هو إلا شِفرة خاصة لتوريد نساء الرذيلة.

● أصيب بضعف في السمع بأذنه اليمنى؛ لاستعماله الهاتف لفترات طويلة.

● زادت مشاجراته مع حياة التى فقدت أعصابها، ولم تعد تحتل قضاءه الأمسيات في استخدام الهاتف، خصوصاً وقت عرض مسلسل السابعة والربع في التلفزيون.

● تعرّض لتوتر عصبي على فترات متقطّعة بسبب جدل بعض من تكلم معهم؛ فمنهم من قال إن الأسعار التى يطرحها مرتفعة، أو

أنهم لا يضمنون نظافة وسلامة الخامات التي يستخدمها، ويفضلون  
البشراء من محلات الحلويات المعروفة التي تخضع لإشراف وزارة  
الصحة.

● عند اتصاله بأحد الأرقام أخبره المتحدث على الطرف الآخر  
من الخط، أنه قام بالمشروع ذاته، لكنه فشل فشلاً ذريعاً.

● مرة، اتصل أسامة برقم من الدليل وكان لسيدة أعلنت بصوت  
ناغم رقيق تحمُّسها الشديد للمشروع، وطلبت منه صينية بسبوسة  
بالقشدة، أوصلها أسامة لها في مساء اليوم التالي، لكن الطلبات  
المتكررة للمرأة، والتي لم تتقطع أسبوعاً واحداً أصابت حياة بالقلق،  
وجعلتها تشعر أن هناك أمراً ما وراء البسبوسة فوضعت الحالة  
تحت المراقبة؛ لتكتشف ذات مساء، وأثناء تنصتها على محادثة  
هااتفية بين العميلة وزوجها، أن العلاقة بينهما آخر حلوة، فبدأت  
تفسر أسباب هجر أسامة لها في الفراش، وعدم تعليقه على منديل  
الشفيفون الأحمر الجديد الذي اشترته مؤخراً، وتوقفه عن مناداتها  
بياروحي، كما كان يحدث بين وقت وآخر، خصوصاً عند طلبه شيئاً  
منها. وبمواجهته، اعترف أسامة وأقر بأن المرأة أرملة ولا تعمل؛ لأنها  
عاقرة، وأنه أمضى معها بعضاً من الوقت أكثر من مرة في شقتها  
بشبرا، عندما كان يأخذ لها الحلويات، ثم فجّر أسامة قنبلة التحقيق  
الذي تمّ ليلاً في حجرة النوم، بعد نوم البنيتين؛ إذ أقسم لحياة أنه لم  
يلمس من المرأة أكثر من كفّها عندما كان يصافحها، لكنه تعشّى  
عندها أكثر من مرة، ورفض العشاء آخر ليلة ذهب إليها فيها؛ لأنه  
كان ملوحيه بالأرانب، كما أقر لحياة بأن المرأة كاشفته برغبتها في  
الزواج منه، وهي ميسورة، وشيقتها واسعة ولديها أرض تزرعها

بالبرسيم، ثم أنهى كلامه وهو يمرر كفه على فخذ زوجته العارى فى حنان ويسألها:

ـ ما رأيك يا حياتى؟ الوليّة وحيدة وميسورة ومحتاجة الستر، وأنت عارفة إنى فى عمرى ما فكّرت فى أية مخلوقة إلا أنت، فكرى فى مصلحة البنّين، ومصلحتنا، الأرض ممتازة ومن المحتمل أن نقوم بمشروع عليها فيما بعد، واعتبرى المسألة كلها مسألة مصلحة ومنفعة متبادلة مع الولية. كبرى عقلك يا حياة.

لأول مرة وطوال فترة زيجتها الممتدة، أعلنت حياة رفضها القاطع والنهائى لمشروع زوجها الجديد، لم تكن فى حاجة لمعارضة سامية، كما أن توسلات زوجها ومحاولاته لإقناعها لم تفلح هذه المرة وقد ختمت الموضوع بتهديد أسامة بالطلاق دون رجعة، بل أنه لن يعرف لها سكة بالفعل إذا ما حاول التفكير بهذه المرأة، وأعلنت إنهاء مشروع الحلويات جلاب المصائب الذى لم يُنبأ منه كما قالت غير توسيخ المواعين، ولمّ النمل البلدى الصغير، والفارسي الكبير، والصراصير الرفيعة والصراصير أم شوارب طويلة فى دواليب المطبخ؛ مما اضطرّها إلى دبّ مشوار إلى قريب لها فى وزارة الزراعة؛ ليعطيها بعضاً من مبيد التوكسافين الفعّال المستخدم فى القضاء على دودة القطن لترش المطبخ كله؛ حتى تتمكن من قطع دابر كل أنواع هذه الحشرات منه. ثم إنها أنهت تهديداتها لرجلها قبالة: «قَسَمًا عَظْمًا، لأكون تاركة لك البيت والعيال والدنيا والدين حتى آخر يوم من عمرى يا أسامة؛ إذا ما بطلت حكاية الحلويات وقرفها».

ظلت حياة لفترة أخرى تعيش حالة من القلق وعدم الاطمئنان،

على رغم ارعواء أسامة، وامتناله لتهديداتها، وكفّه عن مكالمه وليّة شبرا، وإجهازها على مشروع الحلويات سيئ السمعة تماماً، حتى كان اليوم الذى جلب فيه ساعى البريد خطاب هيئة المواصلات السلوكية واللاسلكية المحتوى على فاتورة التليفون الباهظة، التى دفعت بحياة وأسامة إلى اتجاه مغاير تماماً.

فأسامة لم يتمكن من سداد الفاتورة عن فترة مكالماته الحلوانية بعد أن فاقت كل تصور محتمل بالنسبة إليه وإمكانياته وجعلته يضيف اسم هيئة المواصلات السلوكية واللاسلكية إلى القائمة السوداء المتضمنة أسماء أعدائه جميعاً، ابتداء من الأمم المتحدة وشركائها فى التلفزيون، وانتهاءً بمديره العام فى وزارة الصحة (لم يجبروا أسامة على إضافة اسم أمه صراحةً إلى هذه القائمة لاعتبارات دينية أولية توصى بحب الأم وطاعتها)، واعتبر أسامة أن هذه الهيئة هى واحدة من الأطراف الفعالة فى المؤامرة الكبرى التى مازالت تحاك حوله منذ فشل مشروع الأرناب، والتى تستهدف أمنه وسلامته وآماله العريضة فى النمو والنهوض.

مرتبّ فائن المحدود لم يسهم فى نقلة حياتية ذات قيمة بالنسبة إلى الأسرة؛ إذ كان يُنفق فى الأغلب على ملابسها ومصاريفها الشخصية بما فى ذلك مصاريف مناديل رأسها الملونة التى تعددت لتناسب ألوان ملابسها، وكذلك مصاريف مساحيق الوجه التى باتت تضعها على نحو مهرجاني فى محاولات مستميتة فاشلة لجذب الخُطّاب، وكتفويض عن أجمل ما تمتلك وقد ضاع منها تحت الحجاب.

صاحبة محل الكوافير، طالبت حياة بقرار سريع قاطع فيما

يتعلق بسفرها والاشتغال معها في الخليج؛ حتى تدبّر الأمر في حالة عدم سفرها وتتعاقد مع واحدة أخرى، وقد أمهلتها بداية الشهر التالي للشهر الذي أبلّغتها فيه بالقرار.

ذات صباح وقبل نهاية الشهر بأيام، كانت حياة تعدّ الشاي لأسامة قبل خروجه إلى العمل؛ تأملت موقد الغاز ذا الشعلتين، والثلاجة القديمة التي بدأ يأكلها الصدأ، ودواليب المطبخ المتهالكة، ثم دارت بعينيها على ملاعق الطبخ الكبيرة المعلقة وأوعية الألومنيوم المهيّبة القصور، شعرت وكأنها جميعاً تخرج ألسنتها لها وتغيظها عن عمد، فقالت لزوجها وهي تصب الشاي، وقد طافت بخيالها صور إعلانات التلفزيون عن المطابخ الجميلة الحديثة الجذابة:

اسمع يا أسامة، بصراحة الحياة صارت صعبة، والعمر سارح ونفسي أن نطلع للعالم كما الناس بحق وحقيق. بصراحة أنا فكرت، وقلبتّها من هنا مرة، ومن هناك مرة، ودورتها على كل ناحية، فوجدت أن الحل المناسب هو السفر مع سعاد الكوافيرة؛ حتى تتيسر أمورنا ونشتم أنفاسنا بعض الشيء. كلها سنة وأرجع إن شاء الله، وبيا عالم، ربما يكون سفرى فاتحة خير لنا جميعاً وبداية الفرج للعيال.

شعر أسامة أن قلبه يكاد يقع منه؛ فهو على رغم كل شيء، لا يتصور البيت لحظة واحدة بدون حياة؛ فهي عماده الأساسى، شمعة الحياة فيه، السعادة المحسوسة غير المنظورة بالطبع. رشف رشفة من كوب الشاي، فشعر بمرارة طعمه، طلب من حياة أن تضيف إليه مزيداً من السكر، وهو يحاول ضبط مشاعره؛ لئلا يبدو منفِعلاً أمامها. كان يدرك تماماً أن قرارها هذا ما هو إلا تحصيل حاصل لما هم فيه، وأنه لم يعد لهذه الأسرة من بديل، غير ذلك الاقتراح الذي

اقترحته حياة لتوها، هكذا كان يفكر منذ فترة، ومازال يفكر في ذلك، على رغم كل المعاناة، ومشاعر الفقد، والوحشة، التي سوف يسقط فريسة لها عندما تغيب عن البيت، لكنه لم يجرؤ على مفاتها في الأمر أبداً؛ فقد كان متحرّجاً من مصارحته لها برغبته في أن تسافر، بعد كل المتاعب التي سببها لها، وبعد مشروعاته الفاشلة، ومرضه المزعج بكل ما فيه من ملابس، كما أنه لم يتقبل نفسياً أن تكون حياة، وهي امرأة أولاً وأخيراً، مصدراً لحياة الأسرة، ثم إنه كان يخشى أن تظن به الظنون لو صارحها برغبته في سفرها؛ بسبب حكاية غرامه الأخيرة، أو أن تعتقد أنه يرغب في إبعادها والتخلص منها؛ حتى يخلو إليه الجو فيبيض ويصفر كما يشاء.

أثر أن يكون لطيفاً، لبقاً، مجاملاً لها فقال:

. مستحيل يا حياة أن تفكرى في مسألة السفر، البيت بدونك يغتل وأحوالنا تتلخبط. يا خبر يا حياة!. فكري في فاتن وسامية، كلنا في أشد الاحتياج إليك، ومستحيل أن تسافرى وتتركينا. اصبرى يا حياة الله يخليك.

كانت حياة تدرك من نبرات صوته، وهي التي عرفته وعركته لسنوات طوال، أنه يكذب ويجاملها؛ فعاودت طلبها منه ليوافق على سفرها، مشتركةً بذلك في المسرحية التي بدأها لتوها، والتي تعرف أنها ستنتهى النهاية السعيدة المنشودة فقالت:

. والنبي حاول التفكير بجد في الموضوع يا أسامة، وحكم عقلك، يعنى ها أسافر وأشتغل وأجيب الفلوس، أم أحط يدى على خدى، ونقول للناس: هاتوا؟. يعنى هل أنت مستريح بعد قطع الحرارة عن

التليفون؟ وهل أنت مبسوط من أحوالنا، وبلاط البيت القديم المتكسر، عمال يقطع كل ما مشت فوقه رجل؟. والله أنا لو سافرت، فالسفر على فص عيني، لكن العمل عمل رينا، وعصفور في اليد يا سيدى، خير من ألف على الشجرة، ثم إنها ألفت إليه بالخبر القنبلة فقالت:

. ثم هل تعرف أن العمارة صدر لها قرار إزالة من المحافظة، وصاحبها ناولية تطلب من أصحاب الشقق التوقيع على القرار؛ حتى تكون خالية المسئولية لو إن العمارة وقعت لا سمح الله، يعنى المسألة أصبحت جد فى جد، والتفكير فى موضوع النقل من العمارة لأى مكان أصبح ضرورياً؛ لأن المسألة واردة فى أى لحظة.  
عاود أسامة رشف الشاى دون أن يرفع نظره عن الكوب، ثم انتظر قليلاً قبل أن يسألها:

. وهل شاورت سامية وفاتن فى مسألة السفر؟.  
ردت حياة بسرعة وحماس:

. سامية موافقة ومتحمسة جداً، لكن فاتن سحّت دموعها، وحطّت من كل عين الشئ الفلانى قبل ما أكمل كلامى عن الموضوع إلى الآخر معها. يا حبيبتي... دموعها قريبة جداً، أصلها عاطفية وحنونة، لكنى أظن إن علينا التفكير بجد؛ لأن الوليّة سعاد، فى انتظار رد منى قبل آخر الشهر.

بعد أيام قليلة من ذلك الصباح، تصورت حياة صوراً فورية ملونة، واستخرجت جواز سفر دون أيّة إجراءات بيروقراطية سخيفة؛ مما أثار دهشتها وهى المعتادة كمواطنة على الروتين المعقّد طوال حياتها عند التعامل مع أجهزة الحكومة، وقد علقت على ذلك لأسامة بقولها:

«كما لو كانوا متمنين ومشتهين إن الناس كلها تسافر وتفور، ولا ترجع البلد أبداً».

حان وقت الرحيل بعد ذلك بأسابيع ثلاثة، وفي الوقت المحدد، فتحت حياة الباب، وأسامة خلفها يحمل حقيبتها، بينما راحت فاتن تتأملها بعيون محمّرة كميون الأرناب بعد أن بكت كثيراً ولم تغل، أما سامية، فكانت تحثهم على عدم التلكؤ؛ وسرعة الحركة؛ حتى لا تفوت أمها الطائرة، ثم إن حياة خاطبت فاتن قائلة:

«والنبي يا فاتن، ومن نبيّ النبي، لأكون مجهزة لك العريس معى عند رجوعى البلد بمشيئة واحد أحد، ونظرت إلى سامية نظرة ذات معنى، فهمت منها الأخيرة أن أمها تعاود التشديد على وصيتها لها، والتي تتلخص فى مراقبة أبيها جيداً، ومنعه من الاتصال بأى شكل من الأشكال بوليّة شبرا، وواد أية مشروعات جديدة قد تبرز فى رأسه قبل ميلادها، ثم مواساة فاتن المسكينة لأنها لن تكف عن البكاء».

نظرت إليهم وتهتد بحرقه، ثم إنهم ذهبوا معها جميعاً إلى المطار.



قصص



## الجمال

تحولت إشارة المرور إلى الأحمر فتوقفت السيارات الكبيرة  
والصغيرة، وانتظر الناس، بينما دبّ الطفل بقدميه وصاح وهو  
يشاهد جملاً يعبر الطريق:

- ماما.. الجمال.

ردت دون أن تحيد ببصرها عن إعلان لقرية سياحية جديدة،  
شغل حائط بنائية ضخمة على ناصية الشارع:  
- طيّب.

تابع بعينيّه الكائن الضخم المهيّب، برقبتّه الممتدّة، وسنامّه العالّي،  
وهو يخطو بخطوات وثيدة، زفر برضا ثم أعلن:  
- ماما.. عاوز الجمال.

- يا سلام!؟

قالتها وعيناها على بيضاء الإعلان، ذات الشعر الأصفر،  
المستلقية على الرمال في لباس بحر من قطعتين.

ثلث مطلبه، وساق عليها النّبي:

- والنّبي يا حبيبتي عاوز الجمال.

كانت تمسكه بيد، وتحمل بيدها الأخرى حقيبته المدرسية وكيس

خضار، أما حقيبتها فقد علقتها على كتفها.  
أعلنت مستكربةً بعد أن ملّت انتظار نور العبور الأخضر:  
- جمل.. معقول!<sup>١٩</sup>  
لم تغب عيناه عن الجمل حتى غاب، فشرع فى البكاء مؤكداً  
جديّة مطلبه وإصراره عليه.  
- وماله الجمل!<sup>٢٠</sup> هاتى الجمل وخلص.  
اكتشفت جديّة الموضوع، فابتسمت، وشرحت:  
- الجمل كبير يا حبيبى. مستحيل نحطّه فى بيتنا. شقتنا  
صغيرة، والجمل يحتاج إلى مكان واسع.  
دحض منطقها بسرعة:  
- خلاص.. نروح نقعد فى بيت كبير ونشتري الجمل.  
- ها ها ها... بيت كبير لأجل الجمل!<sup>٢١</sup> البيت الكبير تلزمه  
فلوس كثيرة، أنا فلوسى قليلة.  
- طيب خلى فلوسك كثيرة.  
- مستحيل يا حبيبى؛ لأن مرتبى صغير، على قدّ الأكل والشرب.  
عاود الدييب على الأرض بقدميه وصرخ:  
- لكن أنا عاوز الجمل، هاتى لى الجمل وخلص.  
الشمس قوية فوق رأسها، والرطوبة خانقة، أما البيت فما زال  
الطريق إليه ممتداً، وصبرها فاض فصرخت هى الأخرى:  
- أنت أهبل!<sup>٢٢</sup> حمارة!<sup>٢٣</sup> قال عاوز الجمل قال!!... اخرس خالص  
ومدّ، خلىنا نروح البيت وأشوف الطيبخ قبل رجوع أختك من  
مدرستها.  
انفتحت حنفية الدموع عن آخرها، ودعّمتها صرخاته، وهو لا

يتوقف عن ترديد مطلبه - الذى رآه عادلاً وبسيطاً - فى إصرار:  
- عاوز الجمل يا ستى، يعنى ماله الجمل. نفسى تسمى كلامى  
مرة وتجيبي لى طلبى... هئ.. هئ.. هئ..  
أبرزت الجانب المظلم من الأمومة، وشمرت عن أطراف وأنياب،  
وزعقت فيه.

- طيب اسكت ساكت، واقطع الخنس بسرعة، وإلا ضربتك لحد  
ما أعدمك العافية، يا حمار، يا غجرى.. والله لو سمعت حسك  
لأضربك فى الشارع وقدام الناس كلها.  
بدأ يرموى تحت وطأة التهديد؛ فقد كان مُدركاً تماماً إمكانية  
تحوله إلى تطبيق عملى، فخفض من حدة بكائه، لكنه لم ينهه  
بالكامل؛ عندئذ رقت الأم قليلاً، وقررت اتباع الشق الثانى من  
سياسة المعز:

- اسكت يا بنى - الله يرضى عنك - لأنى مصدعة وجسمى  
يوجعنى كله، يظهر أنى داخله على دور إنفلونزا.. اسمع، تعال أجيب  
لك حاجة حلوة، عاوز بنبونى والا شيكولاته؟  
كاد أن ينفلق غيظاً. إنها تستخف به. توقف عن المسير وصرخ  
بغضب:

- قلت لك: جمل، جمل، لا بنبونى ولا نيلة.  
أوشكت أن تنفجر هى الأخرى، هل تتوقف وتضربه، أم تبتلع  
غيظها وتسكت؟ فضلت الحل الأخير، لكنه لم يكف عن البكاء  
والمطالبة فوق الانفجار:

- اخرس، بلا كلام فارغ، إنت عبيط والا صغير؟. عندك ست  
سنين وتقول عاوز الجمل؟. انسخت، والا انسخت؟. سخطة لما

تسخطك، هو الجمل لعبة والا حاجة بسيطة؟. شىء يغيظ ويفلق والله.. يعنى ناوى تلعب بجمل؟.. هه؟.

فاجأته بسؤالها، فهو لم يكن لديه تصور محدد لما سيفعله بالجمل حتى هذه اللحظة، لكنه مازال يملك شعوراً قوياً جارحاً تجاه هذا الكائن العظيم الفريد، الذى توقفت له إشارات المرور والعربات وجميع الناس حتى عبّر الطريق.

تذكر السنام والرقبة والعين الجاحظة فتتهد فى مرارة، وتأكد من أحقية مطلبه، فشتها فى سره.

وجدته صامتاً يفكر، فاستأنفت هجومها المقنع:

- ثم إن الجمل سعره غال يا حبيبى؛ لازم تخلى عندك ذوق وتعقل وتسمع كلام ماما. حرام تتعب قلبى وتطلع روحى وهى طالعة خلقة من الحر.. الله يهديك، امش.

حاول هو استخدام أسلوبها، فقال بهدوء:

- طيب يا ماما، لكن الجمل حاجة بسيطة خالص.

أجابته بسرعة مستجيبة لحوار العقل:

- طيب.. إنت عمرك شفت أى إنسان عنده جمل. أولاد عمك مثلاً، هل عندهم جمل؟.. الجيران، أى واحد منهم عنده فى بيته جمل؟. اعقل يا حبيبى الله يهديك.

دحض منطقها بسرعة:

- الجيران عندهم كلب، وأولاد عمى عندهم عجلة و..

لم تعد تحتل النقاش فزعقت مفتاة، حتى أن صوتها جذب انتباه عجوز كان يعبر بجانبها؛ فنظر إليها ملياً وهى تقول لابنها:

- اخرس. خلاص.. يلعن أبو شكلك وغلاستك.

وأكد لنفسه أن أمهات هذا الزمن مسكينات وعصابات وروحهن  
فى مناخرهن بسبب الحياة الصعبة، وقلة الغذاء، وأكل الفراخ  
البيضاء، واللحم المجدّد معدوم الخير، ثم إنه تصعب ونظر إلى الولد  
فى شفقة وسار.

الولد لم ينتبه إلى التعاطف الخارجى الذى كان يسير إلى جانبه؛  
إذ كان يسير محدّقاً فى الأرض، شاعراً بظلم فادح، من هذه المرأة  
المفترية، على رغم عدالة قضيته من جميع النواحي، مطلبه بسيط  
إنسانى جداً: جمل، لا أكثر ولا أقل. هى تتحدث عن الناس. الناس  
ليس عندهم جمال، لكن عندهم أشياء أخرى كثيرة ليست عنده فى  
البيت، فلماذا تقول الناس، وتقول أولاد عمه؟

قررت أن تشرب حاجة صاقعة تطفى غيظها وشعورها بالحرارة،  
لذلك فإنها بمجرد أن وقع نظرها على زجاجات الصاقع، وقد تناثرت  
فوقها قطع الثلج فى صندوق بأحد المحلات توقفت وسألت ابنها:  
- تشرب حاجة صاقعة؟

لم يرد، واستكمل البكاء والزّن وهو ينظر إليها فى حقد، فقالت  
له:

- انفلق. إن شا الله ما شريت.

جاء البائع مبتسماً ليفتح لها زجاجة ليمون، فلما وجد الولد  
ييكى أخذ يلاطفه ويخيره بين أنواع الحلويات التى لديه، والولد لا  
يستجيب فقالت الأم بعد أن سحبت من الزجاجة سحبة طويلة  
بشفتيها:

- قطيعة، قطعت خلف الصبيان، خلّى روحى فى مناخيرى، ونازل  
يقوّ؛ لأنه شاف الجمل فى السكة، وعاوز أجيبه له!! شىء يفلق.

ابتسم البائع مرة أخرى، وأخذ يريّت على الولد، ووجه له الكلام:  
- جمل؟. معك حق والله، طيب أنا أجيب لك الجمل يا عم، ولا  
يكون عندك أى فكر.

دخل الرجل الدكان، وعاد بعد قليل وفى يده جمل صغير، جمل  
من البلاستيك الأحمر الخفيف وضعه بين يدى الولد الصغير.  
قلّب الطفل الشئ البلاستيكي بيديه، تأمله، كان على هيئة جمل  
فعلاً قارنه بذلك العظيم، المهيب، الذى عبر أمام ناظره الطريق، بدا  
حائراً متردداً دهشاً من غباء الرجل، كيف يسمى ذلك الشئ الذى  
بين يديه جملاً؟. لكنه تردد مرة أخرى؛ إذ كان بين يديه شئ على  
أية حال، فسكت ولم يقل شيئاً.

كانت الأم قد انتهت من زجاجة الليمون، فلما وجدته هادئاً  
ساکتاً قالت:

- الله.. والله جميل جداً.. وأحمر وحلو.  
رمقها الطفل بما يشبه الريبة والاحتقار، وواصل صمته.  
- تعرف.. تقدر تحطه فوق التلفزيون، أو تخلّيه ينام جنبك على  
السريّر فى الليل.

قالت ذلك فتصاعد شعوره بالمرارة والخديعة وخيبة الأمل فى  
هذه الكاذبة التى أمامه، لكن بما أن هذا الشئ البلاستيكي الأحمر  
كان فى يديه فعلاً فقد واصل سكوته، بينما نطق البائع بزهو  
المنتصر:

- العيال أقل شئ يرضيهم بسرعة، وأفضل طريقة معهم  
المحايلة.

أكبت الأم وهى تخرج الفلوس من كيسها:



- طَلَعَ رُوحِي طُول السَّكَّةِ .. عَاوَزَ الْجَمَلَ .. عَاوَزَ الْجَمَلَ، كُنْتُ  
نَاوِيَةً أَرْتَهُ عُلُقَةً، وَاللَّهُ فِي الشَّارِعِ مِنْ عِزْمٍ غِيظِي، وَمَنْعَتْ نَفْسِي  
بِالْعَافِيَةِ.

نَظَرَ الْبَائِعُ إِلَى الْوَلَدِ فِي رِضَا وَحَاوَلَ مَنَاقَشَتَهُ:  
- حَصَلَ خَيْرٌ، لَكِنْ يَا أَخِي أَطْلُبُ عَجَلَةً، طَيَّارَةً، إِنَّمَا جَمَلٌ، ذَوْقُكَ  
غَرِيبٌ جَدًّا. الْجَمَلُ كَانَ أَيَّامَ زَمَانٍ، بِكَرَّةٍ يَنْقَرُضُ وَيَخْتَفِي خَالِصٌ.  
ابْتَسَمَتِ الْأُمُّ بِسَعَادَةٍ مَنَ خَرَجَ مِنْ وَرْطَةٍ، وَسَحَبَتِ الْوَلَدَ مَغَادِرَةً  
الْمَحَلَّ، لَكِنْ مَا إِنَّ ابْتَمَدَّتْ قَلِيلًا حَتَّى أَعْلَنَ لَهَا بِصَوْتٍ هَادِئٍ وَاثِقٍ:  
- مَامَا .. عَاوَزَ الْجَمَلَ وَالنَّبِيَّ.



## حيوانات

امتلاً الجو برائحة دخان الشواء الشهية، فافتلاً صدر الشواء اعتزازاً، وزاد من حركة المروحة المصنوعة من ريش الإوز، المصبوغة بألوان زاهية، والتي كانت يميناه، بينما امتدت أصابع يسراه لتلتقط قطعة من السفود وتدفع بها إلى فمه.

كانت الرائحة فاضحة، قوية، مغرية بما يكفي لأن تغامر القطتان فتقتريا كثيراً من موضع الشواء حتى صارتا على بعد أشبار قليلة من أصابع قدميه المدمكة الطالة من نعله المفتوح. ألقت القطتان نظرات سريعة مستريية على حركة الأصابع المتمللملة لكثرة الوقوف، ولما اطمأنتا إلى أنه لا شيء يستحق القلق والخوف منها استرخى جسداهما، بينما راحت أبواق آذانهم الصغيرة تستجيب متحركة في اتجاه صوت بوق سيارة مسرعة في الطريق مرة، ولصراخ طفل مرة أخرى، ثم لنداء صاحب الشواء على العابرين ثالثاً.

استقرت البيضاء المرقطة بالأصفر على قوائمها الأربع في وضع الانتظار، أما الرمادية المقلمة بالرصاصى الداكن، ذات الفم الوردي المكتنز، فقد اتخذت وضع التطلع وقد اشرأبت بعنقها الرفيع، وبدأت الاثنتان في إرسال تنويعات على لحن واحد: مياو.. مياو.

كانت البيضاء ذات صوت ناعم حاد، قادر على بثّ مؤثر رقيق من خلال مياو، التي كانت تغتف وتعلو دون تجاوز المسافة بين الاستجداء والاسترحام، أما الرمادية فبدا مواؤها واثقاً، لا يخلو من اعتداد بالنفس، وإصرار، كمن يطالب بحقوق مشروعة واجبة التنفيذ، ربما كان ذلك بسبب صوتها الأجشّ بعض الشيء؛ أو بسبب هياتها الشبيهة بهياة النمر إلى حد كبير. الحقيقة أن مياو الصادرة عنها، بمختلف تلاوينها الصوتية العالية والمنخفضة، القصيرة والطويلة، كانت تقترب من الوقاحة.

مضى وقت، واقترب المساء، وإذ لا جديد، شعر الجميع بالملل، فزاد الشوّاء من حركة تبديل قدميه، وخفّف من حركة يديه، أما ذاتا الأربع، فقد قررت البيضاء منهما افتراش الأرض الترابية بجسدها، وراحت تلعبه لعقات سريعة متوترة، واصلت بعدها المواء، بينما اكتفت الرمادية بابتلاع ريقها في عصبية عدة مرات، ثم فتحت فمها واسعاً للتثاؤب حتى بانّت لهاتها، وبعد ذلك علّت من وثيرة مياو المطليبة.

عندئذ، قرر صاحب الشوّاء حسم تردّده؛ إذ كان قد فكر كثيراً قبل ذلك في نهرهما وزجرهما قائلاً: بس، إمش، وها هو يعلن تنازله ورضوخه لمطلبهما؛ ربما بسبب ضيقه بكثرة المواء، وربما لأنه لم يجد شيئاً يفعل في تلك اللحظة، أو لأنه يحب القطط ويعطف عليها؛ ومن المحتمل كذلك أن يكون وراء ذلك التنازل إيمانه العميق بضرورة الإحسان إلى الحيوان الأعجم الذي تحتسب الحسنة إليه بأكثر من عشرة أمثاله؛ لأنها حسنة مخفية لا يجازى عليها إلا ربُّ العالمين.

ألقي الرجل إليهما بقطعتين من زوائد اللحم تحوّل المواء على

إثرهما إلى: بخ، فخ، فو، أف... ثم طارت القطتان بفغيمتهما الثمينة  
مبتعدتين عن مكان الشواء، الذى تنهد بارتياح، وراح يفنى بمرح: يا  
ليل، يا عين.

كان الدخان قد انتشر، ووصل إلى نهاية الشارع؛ حيث جلس كلب  
على الناصية يتشمم الهواء؛ باحثاً عن مصدر الرائحة اللذيذة،  
وسرعان ما حمل نفسه ومشى ليستقر واقفاً على بعد خطوات قليلة  
أمام محل الشواء.

ثبّت الكلب جسده فى وضع الصبر والانتظار، ونظراته على  
عينى الشواء، الذى صار مشغولاً بزبائنه، ويتحضير الأرغفة المحشوة  
باللحم وشرائح البصل والطماطم لهم، غير أن ذلك لم يحلّ بينه وبين  
التطلع والنظر بين الحين والحين إلى الطريق.

فى كل مرة، كانت عيناه تصطدمان بالعينين العسليتين الناظرتين  
بؤدّ وطيبة إلى عينيه، ومهما مرّ الوقت، ومهما عاود الرجل النظر،  
كان يجذب النظرة ذاتها، والبتّ الودود نفسه، المعبر عن امتنان ووفاء  
مسبق منقطع النظير. ضَعَفَ الشواء أخيراً بينما كان يتلقى ثمن  
أرغفته من زيون، فمدّ يده البضة السمينة، ذات الأصابع المكتنزة إلى  
قطعة مصارين صغيرة، وألقى بها إلى الحيوان الواقف أمامه ينتظر  
حبلاً للوداد.

هو.. واحدة، كانت كل التعبير عن الرضا والامتنان والشكر  
العميق من الكلب الذى حمل قطعة المصارين بفمه وانسحب بهدوء.  
كحّ الشواء ويلّ ريقه بشرية ماء، ثم تجشأ فى راحة.  
توارت الشمس تماماً، وهَلَّ المساء بنسمات طرية رطبة، وزبائن لا  
بأس بهم، تمنى الشواء الانتهاء من بيع ما تبقى لديه من لحم بسرعة

لينهى عمله، ويذهب إلى خمارة الليل السهران، ليشرب «خمسينة براندى»، يثوب بعدها إلى بيته ليقضى بقية ليله مع امرأته فى الفراش،

فجأة برز أمامه ولد وبنت صغيران بعيون متطلعة، وملابس رثة، وشعر خشن منكوش، أخذوا يلعبان ويضحكان حيناً، ويتضاريان حيناً آخر، لكن أعينهما كانت دائماً عليه، على شوائه تحديداً، وعلى الزبائن الواقفين بالقرب منه يلتهمون اللحم فى نهم وتلذذ. أحسن الشواء بضيق، وفئال لروحه: ليّل الليل، والناس رامية عيالها فى الشوارع، عالم وسخ والله.

لم يكفّ الطفلان عن الضحك واللعب والتضارب، بينما لم تكفّ عيونهما عن النظر إلى الشواء، وبطناهما عن طلب اللحم اللذيذ المتقلب فى أسياخه الحديدية على حبات الفحم أمامهما، فراحا يدفعان بعضهما بعضاً فى محاولة مكشوفة للفت انتباه صاحب الشواء.

استشاط الشواء غيظاً، وأكد لنفسه فكرته السابقة عن أطفال الشوارع وأهلهم، وقال لروحه وهو يضغط على أضراسه بغل: أولاد الحرام؟ ولما لاحظ اقترابهما منه أكثر صرخ بعنف قائلاً وقد ضاق بهما ولم يعد قادراً على الاحتمال:

- امش يا ولد، رُح لبعيد أنت وهى، بلا خوتة، وكفاية قلة أدب. تسمر الصغيران فى مكانهما برهة، وهما ينظران إليه فى يأس، ثم سرعان ما أخرجا له لسانيهما الرفيعين، وجريا بعيداً وهما بيتسمان فى حزن ومرارة.

## درب التبانة

بدا المكان مرتفعاً جداً عندما نظرت من الشيباك، إذ كان حائش النخيل المواجه لا يظهر منه إلا سعفه الأخضر الداكن المتراص. تزايد الرعب بداخلي، فرحت أعيد البحث عن منفذ للخروج، بعد أن قطعت الأمل في إمكانية القفز خارجاً عبر واحدة من تلك النوافذ والطاقات والكُوات الكثيرة في هذا البيت الكئيب، الذي لا أعرف كيف ومتى دخلته، ولم أنا فيه. كان الظلام قيد بدأ يحل وأصوات مبهممة متناثرة لأناس كثيرين تخترق أذني، قبريت الصراخ طالبة النجدة، لكنني أفقت من نومي مذعورة على الزعيق المعهود لجاري وهو يسب ويشتم، فتحت عيني في الظلام، بينما يبدى الأصوات ما يزال يتردد بداخلي، تأفقت ومددت يدي متحسسة المكان بحثاً عن زرّ المصباح، فلما سمعت «تيك»، رأيت انبلاج النور في الغرفة، نظرت من مطرحي إلى ساعة الحائط المثبتة في الممر قرب الباب وهتفت لنفسى حانقة:

- اهدوا يا عالم. ربنا يهدكم ونرتاح من قرفكم، خناقات على آخر الليل، ازعاج مستمر، لا مراعاة لحرمة جار، ولا حساب لناس عندهم أشغال في الصباح، حَوْش، هَمَج، برابرة.

تشاءبت بضيق، وكنت أعرف استحالة معاودة النوم، بعد ذلك الزعيق، والكابوس المفزع فقمْتُ، دخلتُ المطبخ وفتحت الثلاجة متطلعة إلى ما بداخلها علّنى أعثر على شيء حلو أكله لأهشّ غيظي فيه، فلما لم أجد غير الفول والزيتون وبقايا متبقية من جبن العشاء، مددت يدي إلى زجاجة ماء، وبينما كنت أصب كأساً لأشربه اقتحمت أذنّي أصوات: تراخ.. بو.. هو.. أف.. تفو، ثم الصوت المتحشرج المعهود لجاري: «والله لأكون قاتلك ولا يطلع عليكِ نهار يا بعيدة، وديني، وما أعبد، لأسيّج دمك واستريح منك». وقفت متسمّرة مندهشة في مكاني أستمع لأصوات صحون تتكسر، وأثاث يُقلب. ما هذا؟ ساءلت نفسي، ثم أجبتها: الرجل جنّ جنونه فعلاً، وربما يتهوّر ويقتلها. أغلقت باب الثلاجة وأنفاسي تتلاحق من فرط الإثارة وتابعت هواجسي: مصيبة سوداء لو قتلها لن أبقى في هذه الشقة ليلة أخرى بعد ذلك، أنا خوافة جداً، في عمري كله ما شفت أي عفريت، لكن حكايات العفاريت التي سمعتها منذ صغري ما زالت محفوظة في أرشيف ذاكرتي، سبّحان من خالني أعيش وحدي في شقة. بدأ شريط صور حكايات العفاريت يعبر خيالي على خلفيّة من ألحان الرعب التي بدأت تتبثّق في داخلي. ثلاثية عفاريت جدتي أم أمي وهي: العفريت أبو رجل مسلوخة، العفريت أبو ثلاث عيون مشقوقة بالطول، العفريت أبو جلد معزى سوداء، ثم حكايات عفاريت جارتنا نينة حفيظة، وهي العفاريت الجهنمية القادرة على شقّ الحيط في عز النهار والخروج لتأديب العيال الذين لا يسمعون الكلام. ثم حكاية عفريت بنت السلطان برقوق التي كان يحكيها لي عم إبراهيم العبد، خولى غيظ عنب داير الناحية.



تعوّدت من الشيطان الرجيم؛ إذ كان الخوف قد سلسلنى تماماً، وأوقع قلبى، خصوصاً بعد همود الأصوات، وانتهاء الزعيق. سرت على أطراف أصابعى متوجهةً إلى نافذة المطبخ المطلّة على المنور الفاصل بين شقتى وشقة الجيران وأنا لرتعد، ورحت أصيخ السمع، وأتطلع إلى نافذتهم المقابلة لنافذتى، الصمت صميم يسمح بسماع صوت مشى النملة. يا ربي.. هل قتلها فعلاً؟ هل صفت كل الخناقات والمشاحنات التى طالما استمعت إليها بقتلها؟ رحت أتذكر آخر خناقة دارت فى الشقة المقابلة لشقتى، والتى كنت مستمعة عيان لها ساعة نشرى الغسيل يوم عطلتى وقت الغروب، وبعد أن فردت قميص نومى الأخضر الفستقى على الحبل، جاءنى صوته الخشن وهو يأمرها:

- فزّى. غورى من خلقتى بسرعة؛ لأنى عاوز أنام.

مثلاً يحدث عادةً فى كل مرة تنفذ فيها أصوات المشاجرة إلى أذنى. لم أسمع منها رداً، سمعت فقط - وكما يحدث فى بعض الأحيان - صوت قططتهما وهى تموء بدلال، وهذه القطّة هى الشئ الوحيد الذى تسنّى لى رؤيته فى شقة هؤلاء الجيران حتى الآن؛ إذ لاحظتها بضع مرات ممددة على إفريز نافذة مطبخهم، سمينة، مشمشية اللون من النوع الرومى، وكانت تبدو لا مبالية عادةً، حين أداعبها وأناديها: بس.. بس.. بس.. بس، إذ كانت تكتفى بإغماض عينيها نصف إغماضة؛ ثم تموء بصوت خفيض لا أسمعه من مكانى، لكنى أرى حركته على فمها.

تُرى، أى طراز من النساء امرأته تلك، حاولت تصوّر شكلها، تخيلتها امرأة من الطراز التقليدى، سمينة بيضاء، من النوع المنزلى

الأليف. أنا سمينة أيضاً، لكنى لست من النوع المنزلى الأليف، طلقنى زوجى بعد مرور شهر قليل على زواجنا، رمى اليمين الشهير ذات يوم رفضت فيه إعداد كوب من الشاي له؛ فاتهمنى بقلة الذوق والتربية، وفجر مخزون غضبه فى مونولوج طويل من السباب، بلغ ذروته عندما أعلن صراحة أنه يكرهنى، وأنى عِرة النساء ولا أساوى شيئاً فى سوقى الجريم؛ فلا مال لى، ولا جمال ولا حسب ولا نسب، وأنه كان أعمى عندما تزوجنى، ثم لعن أولاد الحرام الذين أشاروا عليه بالزواج منى، والمقصود بذلك ابن خالته وزوجته زميلتى فى المدرسة. وبمجرد أن انتهى من ذلك الموشح أسدل الستار على الفصل الأخير لزواجى بذلك الرجل، مدرس التربية المسرحية، ثم خرجت من البيت بعد أن ألقى يمين الطلاق فى وجهى، فقررت بدورى - وفى ساعتها - تطليق كل الرجال وما زال القرار مستمراً. لكن الواضح أن زوجة جارى لا تعمل إلا بالبيت، ربما لهذا السبب، وبسبب خروجى المبكر إلى عملى، لم تتح لى الفرصة لرؤيتها أبداً. لكنى رأيت الرجل مرة أو مرتين على الأكثر منذ بداية سكنى فى العمارة، بعد انتقال عملى إلى هذه المدينة. لقد بدا لى رجلاً مهذباً خجولاً، لم يتطلع إلى وجهى قط وأنا أبادله تحية الصباح على بسطة السلم. حتى صوته فى عِز الشجار، على رغم ارتفاعه، كانت تسرى فيه رنة حزينة، يبدو الرجل معها، وكأنه يتوسل، لا يسب ولا يشتم. رجل طيب على ما يبدو، أظن أن المرأة زوجته طيبة كذلك؛ لأن صوتها لا يُسمع أبداً، وحتى بكاءها لم أسمع قط؛ ربما هى من النوع الكتوم الذى لا يرغب التجريس ويخشى الفضائح، لكن الغريب هو أمر الجيران الذين لا يحاولون التدخل وإصلاح الأمر بينهما،

على رغم كل ذلك الشجار والصوت العالى الواصل لكل العمارة.  
غريب والله أمر الناس فى هذه المدينة الكبيرة، كأنهم حيوانات تعيش  
فى أقفاص إسمنتية ضخمة، كل بقفصه منفرد يتجاهل وجود  
الآخرين ويتصرف وكأن لا أحد فى هذه المدينة سواء. تهدت بأسى  
بينما رحت أشخص ببصرى خارجاً فى الظلام، تجاه نافذة مطبخ  
جيرانى المقابلة، صائخة السمع، محاولة اكتشاف جديد جدّ عندهم.  
لكنى لم أر شيئاً عبر زجاج النافذة المغطى، اللهم إلا ضوءاً  
يسيراً. لا حركة. لا نائمة. لا حس. لا خبر. ربما تصالحا. ربما اعتذر  
لها وقبل يديها، ثم أخذها فى أحضانه ليسحبها إلى الفراش؛ حيث  
يقضيان الآن وقتاً حميماً مسالماً. لكن ما هذا. يا ربي! إنه يبكى.  
الرجل يبكى. صوت بكائه مسموع بوضوح الآن، هو يبكى بحرقة  
وينهه كالعيال، عويله يائس مهزوم. إذن لقد قتلها، أجزم أنه لا بد أن  
يكون قد فعلها. لا إله إلا الله، الرجل عملها، وهو منهار انهيار سد  
مأرب، يا للمسكينة، لم أسمعها ترد عليه برىح كلمة فى أية مرة من  
المرات، لم يسمع لها صوت أبداً، لا حول ولا قوة إلا بالله. لكن كان  
عليها أن تستغيث أو تصرخ أو تجار مستجدة، أو تزق قائلة: حرام  
عليك.. حرام عليك يا.. اكتشفتُ خلال ذلك أنني لا أعرف للرجل  
اسماً. اعترتني وحشة من اصطدام بالفموض، وسرعان ما تذكرت  
الكابوس الذى داهمنى منذ قليل لما كنتُ نائمة. لبرهة بدت المسألة  
لى وكأنها استمرار لذلك الحلم المفزع، حاولت التيقن. رفعت راحتى  
وتلمست ساعدى وتحسست ملمس جلدى المزغب اللزج فى هذه  
الليلة الصيفية الحارة.

رحت أمعن فى حياة جيرانى وتساءلت: لماذا يتشاجران على هذا

النحو دائماً، خناقاتهما مسائية وليلية على الأغلب، هل الرجل من النوع السهّير السكّير؟ هل يتعامل المخردرات؟ لكن مظهره عادى تماماً ولا يبدو عليه ذلك. لا زوّغان فى نظراته، لا انتفاخ أو احمرار فى عينيه. تعبىر وجهه هادئ وطبيعى. رحت أشحد ذاكرتى لاستحضار ملامح ذلك الوجه. أظن أنه نحىل بأنف طويل بعض الشىء وعينين داكتين على الأغلب. لم أتصور أن المشاكل مع امرأته وصلت إلى هذا الحدّ. حدّ العنف والقتل. فكّرت فى المرأة بدورها، ربما كانت من ذلك النوع المستفزّ الفياظ اللامبالى من النساء. لكن حتى لو كانت كذلك، فلينفصل عنها ويتركها بالمعروف، لىبحث عن بديلة لها ثلاثمه، أما القتل فشىء لا يمكن فهمه، وحتى الضرب مسألة لا يمكن استيعابها أبداً، لعل الرجل من النوع العصبى المتهور، لا يستطيع التحكم فى نفسه وقصر الشر، لكن زوجته مغفلة أيضاً؛ لأنها لا تسائسه. لا تقهم أن الحياة مع رجل أفضل من الوحدة. فلتسألنى أنا.

إن الحياة مع أى إنسان أفضل من الوحدة. بل حتى الحياة مع أتفه حيوان أفضل من الوحدة. أن يعيش وحيداً معناه أنه اختار سجنه الانفرادى بنفسه. فمثلاً لو كان معى أى مخلوق الآن لكنت كلمته وناقشته فيما يحدث الآن.. لكن...

أشرابيت بعنقى قليلاً؛ علنى أرى شيئاً، لكن لا شىء يُرى سوى النافذة المقابلة المغلقة. الرجل فى شقته يبكى بمرارة. أشعر بدموعه ساخنة على خده تحرق قلبى، تتجمع دموع أحرّ منها فى عينى، يتهاى صوته إلى مرتفعاً، ممروراً للفاية: «أنا مجرم، وحش.. عقلى راح وضعت يا ناس!». يا رب خلصنى من الدنيا.. أهى..

أهئ.. أهئ...». مسكين الرجل، جن فعلاً، قلبى يتقطع بسببه. يجب أن أتماسك وأفعل شيئاً. سأكلم البوليس، فمن المحتمل أن يفكر الرجل فى قتل نفسه، سأتصل بالبوليس لياتى فوراً. لكن هل أنت واثقة يا بنت من قتله لها؟ افرضى أنه لم يجهز عليها، هل تتحملين مسئولية البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات؟ ألا تعرفين أن السلطات منزعة فعلاً، ومتلمظة على أى مخلوق يحاول إزعاجها؟

وقعت فى حيص بيص، وقلت لروحى: لكن على رغم ذلك لا بد من عمل شيء، مستحيل السكوت. كانت مشاعر متناقضة تملكنى تتراوح بين الفضول والشفقة والرغبة فى لعب دور ما بخصوص ما يحدث فى شقة الجيران، وهكذا وجدتتى أهول إلى حجرة النوم لأفتح الدولاب، وأخرج ثوبى البنى الطويل ذا الأكمام المحتشمة، وهو الثوب المخصص لمقابلة الغرياء فى البيت. خلعت قميص النوم وارتديت الثوب على عجل، ثم كوّمت شعرى إلى الخلف بمشبك، وأخذت التمام فى المرأة، بعدها انطلقت إلى باب الشقة ففتحته واحتفظت بمفتاحه فى يدي، كنت مفعمة بأمل: لعله لم يفعلها والمرأة على ما يرام. تمنيت ألا تكون الفأس قد وقعت فى الرأس لأصالحهما. قررت ذلك بينما كنت أعد خريطة بسيطة للكلام مع أولئك الجيران. سأدق الجرس بلطف، وعندما يفتح الرجل لى بعد تردد؛ إثر إخبارى له بمن أكون، أعرفه بنفسى قائلة: فريدة بدوى، مدرسة بمدرسة أهل العلا الإعدادية للبنات، أصلى من الفيوم ومنقولة بعد الترقية كمدرسة أولى للجغرافيا إلى هنا. الحقيقة أنا ساكنة وحدى، ثم إنى تنبعت من نومى على صوتكم، وبصراحة الدنيا

ليل والطيب أحسن، ثم إن كل عقدة ولها حلال. المهم صفاء القلوب والنية السليمة. وأنا سمحت لروحي بالتدخل في الموضوع؛ لأننا هنا في الأحياء الجديدة المتطرفة عن وسط البلد، كل إنسان منا وكأنه مقطوع من شجرة، يعنى من المفترض أن نكون كلنا سترًا وغطاءً على بعضنا بعضاً، وسنداً وعوضاً عن الأهل والأحباب. ولما يَبْشُر الرجل في وجهي ويدعوني للدخول أدخل بأدب، وأطيب خاطره وخاطر زوجته التي سيأمرها بعمل الشاي، وعندما نجلس ثلاثتنا لشرب الشاي، أهدئ وألطف الجو بينهما، بادئة الحديث عن حالي وظروفي لأهيئهما للكلام عن حالهما، وحين أستشف أنهما ارتاحا لما قلت، وفتحتا قلبيهما لى، مثلما فتحت لهما قلبي، آخذهما بالهداوة والعقل، وأمد لهما حبل المعروف والوداد؛ فنأخذ ونعطى في الحديث، وكلمة من هنا وكلمة من هناك، حتى تهدأ النفوس، ويطير دخان الصدور، ثم إنى لا أتركهما إلا بعد أن يكونا سمناً على عسل، والمشكلة بينهما صافية لبن، ونصبح بعد قليل جيراناً وأصحاباً، آخذ صوتهما ويأخذان صوتى وكذلك اللبن لى عندما يأتى اللبن ولا يجدنى؛ لأنى أكون فى المدرسة. كما أن صوتهما يصبح معى، بدلاً من الوحدة والوحشة والشعور بأن الإنسان مرمى رمية كلب أجرب منبوذ فى صحراء حفراء جفراء.

اجتزت الفسحة الموصلة بين باب شقتى وشقتهما بثبات وحماس، بدا لى كل شئ ساكناً فى ذلك الوقت المتأخر من الليل. هممت برفع يدى لأتحسس موضع زر جرس الباب فى الظلمة، التى لم يغيبها كثيراً ضوء ضعيف نافذ من شراعة بابهما الزجاجية المثبتة خلف قضبان حديدية رفيعة، وقبل أن تمتد يدى للضغط على الزر، جاء

صوت الرجل عبر الباب المغلق، صوت سيّال بالحنان والرقّة والرضا وهو يقول:

- خلاص.. حقك علىّ تعالى هنا، تعالى يا حلوة على حجرى، بس.. بس.. بس.. بس. لكن إياك ومدّ اليد على أى أكل محطوط فى المطبخ. أكلك فى طبقك وبس، فاهمة يا أنيسة، يا الله، تعالى عندى.. بس بس بس بس.

تلفتُ فى الظلام حولى، داخلى شعور وكأنى مازلت نائمة، سارعت الخطى إلى بيتى وساقاى لا تقويان على حملى؛ خوفاً من أن يرانى أحد وأنا على هذه الحال، فلما وصلت إلى باب شقتى لأدخل وأغلقه خلفى، كنت كمن عبر بحر الظلمات إلى بر الأمان.

وقفت لحظات أستند بظهرى إلى الباب المغلق، ألهمتُ انفعالاً. كنت خائفة مضطربة مطمئنة راضية معاً، فالرجل غريب على أية حال ولو أنه لم يقتل، أظن أنه يؤاخى الجن، وإلا فلماذا كل هذا الضجيج والزعيق؟. أمن المعقول أنه كان يحدث القطة؟. يحدث قطّة مثلاً يحدث أى إنسان عاقل؟. ضربت كُفّاً بكفّ، وسرت إلى غرفة نومى، خلعت عنى ثوب الغرياء، وفكرى ما يزال مشغولاً بالرجل، لكنى أقنعت نفسى فى النهاية أن الأمر لا يخلو من طرافة، ثم إن الحياة فى هذه المدينة المجنونة، الكئيبة، الموترّة، تدفع الناس إلى حافة العُصاب، وتجعلهم يفعلون أى شىء أى شىء مهما كان غريباً وشاذاً يصعب تصديقه.

استعدتُ سكينتى قليلاً بعد توصلى إلى هذه النتيجة، فألقيت بنفسى على سريرى طلباً لاسترخاء تمنيته فى هذه اللحظات، وأخذت أقلب عليه، فبدأ لى واسعاً مريحاً، فردتُ ساقى وباعدت

بينهما متلذذة بنسمات آخر الليل الطرية الداخلة من النافذة المفتوحة على مصراعيها بجواري. تنفست بعمق ونظرت متأملّة سماء رائقة ممتدة تعزف بوميض نجومها لحناً ذهبياً هادئاً. ظللت أحرق فيها بعيني باحثة عن درب التبانة، حتى بدأ النعاس يداهمني. كنت أثناء ذلك أفكر في جاري الفريب، بدا لي مسكيناً بائساً. حاولت تذكر ملامحه وتحديدها، اكتشفت أنها عادية تماماً، لكنها مقبولة ولطيفة إلى حد ما. تقلبت في فراشي بجسد أخذ في الاستكانة والاسترخاء مستسلماً لنعاس لذيذ، ولرغبة ما، كان قد نسيها منذ زمن بعيد.



## الفهرس

٧	أرانب
٨١	الجمال
٨٩	حيوانات
٩٣	درب التبانة

## صدر للكاتبة

- رينات في جنازة الرئيس (قصص قصيرة) ١٩٨٦، القاهرة.
- مقام عطية (رواية وثلاث قصص قصيرة) ١٩٨٦، دار الفكر القاهرة.
- عن الروح التي سُرقت تدريجياً (قصص قصيرة) ط١، ١٩٨٩، مصرية للنشر، القاهرة - ط٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- العربية الذهبية لا تصعد إلى السماء (رواية) ط١، ١٩٩١، سينا للنشر، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٠، دار سحر للنشر، تونس.
- عجيب الفلاحة (قصص قصيرة) ١٩٩٢، سينا للنشر، القاهرة.
- وصف البلبل (رواية) ١٩٩٣، سينا للنشر، القاهرة.
- أرناب (رواية قصيرة وقصص) ط١، ١٩٩٤، سينا للنشر، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- إيقاعات متعكسة (قصص قصيرة) ط١، ١٩٩٦، دار النديم، القاهرة - ط٢، ٢٠٠٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ليل ونهار (رواية) ١٩٩٧، دار الهلال، القاهرة.
- نونا الشعنونة (قصص قصيرة) ١٩٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البشموري (رواية) «الجزء الأول» ط١، ١٩٩٨، دار الهلال، القاهرة.
- البشموري (رواية) «الجزء الثاني» ط١، ٢٠٠٠، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- البشموري (الجزأين معاً) ٢٠٠٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- حلم السنين (مسرحية) ٢٠٠٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شعور الأسلاف (قصص قصيرة)، ٢٠٠٣، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- سواقي الوقت (رواية)، ٢٠٠٣، دار الهلال، القاهرة.



الكتاب

سلوى بكر

37

Biblioteca Alexandrina



0421381